1

الصوفية

نشأتها ومراحل تطورها ورموزها وأبرزعقائدها

إعداد وترتيب

محمود عبد العزيز حماد

15محرم 1445هـ - 2 محرم 2023

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

سنتناول إن شاء الله تعالى في هذا المبحث ما يلي:-

- تمهيدًا؛ وفيه:

- لماذا نطرح موضوع الصوفية هذه الأيام؟

- لماذا هذا الدعم القوي من الغرب للصوفية؟

- ثم نردف بجوابٍ مختصرٍ عن تساؤلٍ: ما معنى التصوف وما أصل نسبته؟

- ثم نسترسل في الحديث عن مراحل تطور الصوفية؛ ونذكر فيه:

- تمهيدًا؛ ثم نتكلم عن الوسطية والحال الكاملة التي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في العبادة .

- المرحلة الأولى: مرحلة ظهور العُبَّاد والزُهَّاد .

- المرحل الثانية: الغلو في العُبَّادة والخروج عن الحد المأذون فيه شرعًا .

- المرحلة الثالثة: الصُّوفية الفلسفية الوجودية .

- الأفكار والعقائد المنحرفة لدى الصوفية؛ وإبراز وجه انحرافها .

- بين عبَّاد السلَف وأدعياء الصُّوفية!

- هذا ما شتمل عليه الجزء الأول – بحمد الله وتوفيقه – وسنتناول في الجزء الثاني القادم إن شاء الله تعالى الردود على تلك العقائد المخالفة وأبرز شبهات الصوفية بشيءٍ من التفصيل .

وكتبه /

محمود عبد العزيز حماد

15محرم 1445هـ - 2 محرم 2023

الصُّـوْفِيَّة

لماذا نطرح هذا الموضوع؟

لوجود دعم غربي عربي لإحياء التصوف في العالم الإسلامي يتمثل في:دول غربية وأخرى عربية ومرتمرات وجمعيات وأربطة ونوادي وأموال ومجلات وقنوات وكتب وأعمال درامية - مسلسلات وأفلام - !

ما أسباب دعم التصوف؟

لأن الفكر الصوفي:

-يحقق فصل الدين عن الحياة .
- يتبنى الجبرية في باب القدر .
- يشوه الإسلام ويمنع من تمدده
-لأن الفلسفي منه يؤمن بوحدة الأديان كنتيجة لوحدة الوجود .
- يهدم قضية شمولية الإسلام .
- يهدم قضية الولاء والبراء .
- يربي اتباعه على التسليم للاستعمار وعدم مقاومته

مصادر التلقي عندهم

1-الكشف .
2-الذوق .
3-الوجد .
4-الإلهام .
5-الرؤى والأحلام.
6-الإسراءات والمعاريج .
7-الفراسة .
8-الهواتف .
9-الأحاديث الضعيفة .

ما سبب التسمية؟

تنـــازع العلمـــاء فيهـــا؛

وإلـى أي شـيء تضـاف؟ فقيـل: هـي نسـبة إلـى أهـل الصُـفَّة ، وقيـل: نسـبة إلـى الصـفوة، وقيـل: نسـبة إلـى الصَّـف المقـدَّم، وقيـل: بـل نسبة إلـى صـوفة بـن بشـر رجـل عـرف بالزهـد فـي الجاهليـة، قـال الإمـام ابـن تيميـة:(وكـل هـذا غلـط ، وقيـل - وهـو المعـروف - أنـه نسبة إلـى لـبس الصـوف)،ونفـى القشـيري صـحة هـذه النسـبة أيضًـا،وقال: إن القـوم لـم يُعرفـوا بلـبس الصـوف، وأيًـا كـان أصـل النسـبة فـإن اللفـظ صـار علمًـا علـى طائفـة بعينهـا، فاسـتغني بشـهرته عـن أصـل نسبته.

الصوفية اصطلاحا

التصوف اصطلاحًا:

أصله مرادفٌ للزهد؛فهو:(العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة) هذا مأخوذ من كمجموع أقوال أعلام مرحلة العباد والزهاد و أما يُعرف بالتصوف السُّنِيّ ثم تطوَّر المفهوم من المعنى آنف الذكر من بداية المرحلة الثانية والتي بدأت بالمغالاة في العبادة والابتداع وفي خاتمتها ما يعرف بالعشق الإلهي ثم إلى مرحلة التصوف الفلسفي الوجودي ؛فما عاد ينطبق على التصوف الحالي التعريف السابق؛بنص كلام أربابه وأعلامه القدامى والمعاصرين إذ عرفه بعضهم بالفناء وبوحدة الوجود والخرافات والشعوذة التي أسموها كرامات!!

ما مراحل تطور التصوف؟

المرحل الأولى: ظهُور طبقة العُبَّاد والزهَّاد

وهـذه المرحلـة الأولـى مـن مراحـل مـا عرَّفـه الـبعض بالتصـوف السُّـنِّي؛ والصـحيح تسـميته بمـا ورد بـه الشـرع التنسُّـك والزهـد والاجتهـاد فـي العبـادة وتزكيـة الـنفس وفـق مـا ورد فـي الكتـاب والسّـنَّة؛ وقـد اشـتهر طائفـة مـن رجـال بالزهـد؛**مـن أبـرز أعلامهـا:** الجنيـد، إبـراهيم بـن أدهـم وبشـر الحـافي وغيـرهم

المرحلة الثانية: الغلو ومجاوزة الحد المأذون فيه

في هذه المرحلة بدأوا يدعون إلى أمور ومغـالاة ليسـت عنـد العبـد والزهـاد السـابقين، وظهـرت فـيهم بـدع فـي الـذكر والعبـادات؛ وظهـر فـي أواخـر هـذه المرحلـة مـا يسـمى بالعشـق الإلهـي وظهـرت الهيئـات والأوراد البدعيـة.. **مـن أبـرز أعلامهـا:** رابعـة العدويـة، عبـد الواحد بن زيد وغيرهم .

المرحلة الثالثة: التصوف الفلسفي والوجودي

تعتبـر هـذه المرحلـة مـن أخطـر مراحـل الصـوفية ؛حيـث تسـربت إليهـا الفلسـفة اليونانيـة فابتعـدت بهـا عمـا سـبقها مـن مراحـل التصـوف بـل جعلتهـا مـن الصـوفية الخارجـة عـن الإسـلام فكانـت شـبيهة بالنصـرانية،ودخلتها مصـطلحات وعقائـد كفريـة مثـل وحـدة الوجـود والحلـول والاتحـاد حتـى وصـلت بأربابهـا للزندقـة والإلحـاد .. **ومـن أبـرز أعلامهـا:** ابـن الفـارض، الحـلاج ، ابـن سـبعين،أبو يزيـد البسطامي وغيرهم .

ما أبرز العقائد والأفكار؟

-من بدعهم اختراع الأوراد والعبادات التي لم يشرعها الله ورسوله ﷺ .
-من بدعهم استعمالهم المصطلحات البدعية التي تشتمل على معاني محرمة وشركية ومنها:
1-مصطلح الفناء والبقاء والصحو والمحو والتجريد والتفريد وما يقصدون بها من معانٍ باطلة .
2- مصطلح مقامات الأولياء وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
3-مصطلح الشريعة والحقيقة وما يقصدون بهما من معانٍ باطلة .
4-مصطلح الحقيقة المحمدية وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
5-مصطلح وحدة الوجود وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
6 -مصطلح وحدة الأديان وما اشتمل عليه من معانٍ باطلة .
7 -مصطلح الأقطاب والأبدال وما يقصدون بهما من معانٍ باطلة .
8 -شطحاتهم في كرامات الأولياء .
9 - شطحاتهم في الرقص والسماع .
10 - شطحاتهم في الخضوع المطلق من المريد لشيخه .

مشجرة من إعداد
محمود عبد العزيز حماد

ما الهدف من طرح موضوع الصوفية هذه الأيام؟

ويلاحظ المتابع للحركة الصوفية في العالم الإسلامي النشاط المتسارع بافتتاح المدارس والأكاديميات والأربطة لاستقبال المريدين، ونشر كتب الصوفية والتصوف وإحياء وترميم الأضرحة وتجديد عمل الموالد والقيام بالمؤتمرات الدولية حول الصوفية والتصوف،ويبدو لنا ما وراء الأكمه من الدعم الغربي القوي الملحوظ لإحياء ونشر التصوف في بلاد المسلمين؛

-ففي تقرير نشرته مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكية بعنوان (عقول وقلوب ودولارات) نشر عام (2005م) يقول التقرير في إحدى فقراته: (يعتقد الإستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بأفرعها العالمية قد تكون واحداً من أفضل الأسلحة، وبينما لا يستطيع الرسميون الأمريكيون أن يُقِرُّوا الصوفية علناً، بسبب فصل الدين عن الدولة في الدستور الأمريكي، فإنهم يدفعون علنًا باتجاه تعزيز العلاقة مع الحركة الصوفية...، ومن بين البنود المقترحة هنا: استخدام المعونة الأمريكية لترميم المزارات الصوفية في الخارج والحفاظ على مخطوطاتها الكلاسيكية التي تعود إلى القرون الوسطى وترجمتها، ودفع الحكومات لتشجيع نهضة صوفية في بلادها) ([1]) .

-ويقول الباحث د.عبد الوهاب المسيري:(مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين ابن عربي وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي...)(2).

-ويؤكد المستشرق الألماني شتيفان رايشموت أستاذ علم الإسلاميات وتاريخ الإسلام بجامعة بوخوم، أن (مستقبل العالم الإسلامي سيكون حتماً للتيار الصوفي)([3]).

---

1 انظر الملحق الأسبوعي للعرب اليوم الأردنية في2005/4/25 وانظر أيضا الطبعة الإلكترونية من مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكية العدد (2005/4/25م) Us news and world Report

2 www.aljazeera.ne.

3 من مقال بعنوان: الصوفية.. هل تكون النموذج الأمريكي للتغيير؟ د. عمار علي حسن.. (2005/2/26م) إسلام أون لاين.

-أقامت عدة مؤسسات ودول غربية مؤتمرات لدعم الفكرالصوفي ونشره بكل الوسائل:

(أ)- في يناير عام (2001م) أقيم المؤتمر العالمي الأول لدراسات الشرق الأوسط الذي عقد بمدينة ماينز الألمانية وقد كان برنامج المؤتمر مكتظاً بالبحوث والدراسات المتنوعة؛ أما ما يتعلق بالإسلام والحضارة الإسلامية فثمة بحثان هما: الإسلام الحديث والطريقة النقشبندية ـ المجددية الصوفية، والأولياء الصوفيون وغير الصوفيين([1]).

(ب)- إقامة المؤتمر العالمي بجروزني تحت رعاية رمضان قاديروف الموالي لبوتن وموسكو وتحت رعاية جمعية طيبة التي يشرف عليها المدعو الحبيب علي الجفري وبدعم إماراتي كبير!!

(ج)- مؤسسة راند الأميريكية نشرت تحليلًا وتقريرًا عام 2000 لضرورة وقف المد السلفي ودعم التصوف والطرق الصوفية كبديل وتقديمه على أنه يمثل الفكر الإسلام المعتدل!

إن هذه المؤتمرات المتلاحقة حول التصوف تنبئ أن وراء الأكمة ما وراءها، وأن الأمة مقبلة على مد صوفي يراد إحياؤه من جديد بعد أن بدأ بالخمود، سواء أكان هذا التحرك ذاتياً من قِبَل الجماعات الصوفية، أم هو بتحريك غربي عربي؛ فالخطر العقائدي لا يزال قائماً.

- من الدعم المعنوي للصوفية؛ حضور السفير الأميريكي سنويًا الليلة الختامية لمولد البدوي بطنطا: معلناً عن إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، لافتاً إلى ما تنطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة مثل الحق والخير والجمال!([2]) .

-من الدعم المادي للصوفية؛رصد مبلغ وقدره 10 مليون دولار من الكونجرس الأميركي لإعادة وترميم الأضرحة المشهورة بمصر وبعض البلاد الإسلامية .

-من الدعم المادي للصوفية؛طباعة الكتب التي تبث الفكر الصوفي؛على سبيل المثال لا الحصر: طباعة ونشر (كتاب المثنوي) لجلال الدين الرومي في 8 مجلدات فاخرة كبيرة، وتضمن 26 ألف بيتًا في الفارسية ومترجم للعربية ويسمى

---

1 أقيم هذا المؤتمر بجامعة يوهانسن جوتنبرج، كما أن المبادرة إلى عقده جاءت من رابطة دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية، وتقرر أن يعقد تحت الإشراف المشترك لهذه الرابطة والرابطة الأوروبية لدراسات الشرق الأوسط، والروابط الفرنسية والألمانية والبريطانية والإيطالية لدراسات العالمين العربي والإسلامي. وقد حضره ألفا باحث وعالم ومفكر كما شارك في المؤتمر قرابة الألف من السياسيين الرسميين وغير الرسميين.. الأهرام (25 محرم 1423 هـ) الموافق (8 إبريل 2002م) العدد (42126).

2 انظر جريدة الخليج «الإماراتية» الصادرة في 17 شوال 1426هـ، الموافق 19 نوفمبر 2005، العدد (9680). وينظر جريدة الشرق الاوسط الصادرة في 16شوال 1426هـ.

عندهم بـ(قرآن العجم) بسعر 120 جنيها مصريًا؛وهي طبعة لا تقل طباعتها على 1000 جنية للنسخة بل ربما تزيد .

-وقد ترجمت إلى الألمانية تائية ابن الفارض في مدينة فيينا سنة 1854،كما ترجمها إلى الإيطالية (أكنيزوا) في روما عام 1917 وإلى الإنجليزية (نيكلسون) عام 1921 ( ) ؛وقد أمضى المستشرق الفرنسي (ماسينون) كل حياته متفرغاً للكتابة عن الحسين ابن منصور الحلاج الذي أفتى علماء بغداد بقتله لقوله بالحلول وقد كتب (ماسينون) عن الحلاج ثلاثة مجلدات( )؛

-لوحظ عدد من رسائل الدكتوراه والماجستير المعروضة في فروع جامعة الأزهر في الأونة الأخيرة تركِّز على التصوف وتكرس له !!

- وفي 2001/3/28م عقد في مدينة بامبرج الألمانية المؤتمر الثامن والعشرين للمستشرقين الألمان، ومن ضمن البحوث التي قدمت في المؤتمر بحث بعنوان «الأخوة الصوفية كحركات اجتماعية»، و (الحركة النقشبندية في داغستان) و (التيجانية) في غرب أفريقيا، وصورة الموالد الشعبية في مصر([1]).

- وفي عام (2002م) تم افتتاح أقسام لتعليم اللغات (الإنجليزية والفرنسية والإسبانية) في المعاهد الشرعية التابعة للشيخ (أحمد كفتارو) النقشبندي، وهذه الأقسام تستقبل الطلبة الناطقين بهذه اللغات أو تعلم الطلبة العرب هذه اللغات كي يقوموا بالتدريس في هذه الدول بعد ذلك([2]).

-وفي 2003/7/12م نظم المركز الثقافي الأوروبي البلغاري ندوة حول أدب التصوف في الإسلام(22).

-وفي أغسطس عام (2002) الموافق جمادى الآخرة (1424هـ) صدر العدد الأول من المجلة المنعوتة: بـ (مجلة البحوث والدراسات الصوفية) وهي من مطبوعات جمعية العشيرة المحمدية بمصر وتقع في حوالي (600) صفحة، وتصدر عن المركز العلمي الصوفي الذي يهدف إلى (إحياء التصوف في الأمة، ونشره على كافة مستوياتها، وبين كل فئاتها، وفي مختلف أوجه أنشطتها)![3].

-وفي عام (2003م) شهدت مدينة (الإسكندرية) في الفترة من (18 - 21) إبريل المؤتمر العالمي للطريقة الشاذلية بمدينة الإسكندرية وقد انعقدت جلسات المؤتمر

---

1 انظر جريدة الشرق الأوسط الأربعاء 4 محرم 1422 هـ 28 مارس 2001 العدد 8156.

2 وكالة الأنباء الفرنسية سبتمبر (2002م) .

3 مجلة البحوث والدراسات الصوفية العدد الأول من مقدمة المجلة.

بمكتبة الإسكندرية بالتعاون مع (منظمة اليونسكو)و(المركز الوطني الفرنسي للبحوث والدراسات العلمية)و(المعهد الفرنسي لآثار الشرقية) و(الوزارة الفرنسية للبحث العلمي)و(وزارة الخارجية الفرنسية) و(دار العلوم الإنسانية بفرنسا) وأخيراً (وزارة السياحة المصرية)([1]).

-وفي عام (2004م) اقيمت على مدى عشرين يوماً محاضرات عن الحلاج وابن عربي وابن الفارض في الدانمارك([2]).

-وفي سبتمبر من عام (2004م) تم افتتاح الأكاديمية الصوفية بمصر([3]).

-وفي 2004/1/9م أعلن في العراق عن تشكيل «الأمانة العليا للإفتاء والتدريس والبحوث والتصوف الإسلامي» التي من أهدافها «إنشاء المدارس الدينية ودعم الطرق الصوفية»([4]).

-وفي (2004/9/10م) أقيم مؤتمر هو اللقاء الأول من: (لقاءات سيدي شيكر العالمية للمنتسبين إلى التصوف) تحت الرعاية السامية لجلالة الملك محمد السادس)([5]).

-توظيف الأعمال الدرامية للدعوة للتصوف: مسرحية(قواعد العشق الأربعون)؛ تكرِّس للصوفية الفلسفية ووحدة الوجود، تتكلم عن شخصية شمس الدين الشربيني شيخ جمال الدين الرومي؛تم عرضها في القاهرة والأسكندرية ؛وتنشرعبر الواصل الاجتماعي وتحصد ملايين المتابعات والمشاهدات، وبعدها تعرض مسرحية (صاحب مقام)وتتكلم عن كرامات ومقامات أبي الحسن الشاذلي والسيد البدوي والسيدة نفيسة والمرسي أبي العباس وكرامات القديس مارجرجس!!

-ومن الأعمال الدرامية أيضًا التي تكرس للتصوف مسلسل (أرطغرل): والذي يصور ابن عربي الصوفي الحلولي على أنه الحكيم الملهم الذي يعطي أرطغرل الطاقة الروحية ويظهر له عن كل أزمة أو كربة؛فيخرج منها بسلام !! .. وعمل مسلسل عن الحلاج بدعم إماراتي كبير.. كل هذه الجهود للترويج للصوفية الفلسفية الاتحادية والتي تؤمن بوحدة الوجود!!

---

1 انظر مجلة البحوث والدراسات الصوفية العدد الأول صفحة (595) .

2 www.aljazeera.net من الدعاة المعاصرين للتصوف في أوروبا عبد الواحد يحيى (رينيه جينو) الشاذلي والذي تذكر عنه مجلة البحوث والدراسات الصوفية أنه له أتباع بالملايين في فرنسا ودول أوروبا، وما زال تلاميذه يقومون برسالته حتى الآن، ومنهم الصوفي الفرنسي عبد الله كوديوفتش الذي يقوم بترجمة كتاب الفتوحات المكية لابن عربي إلى الفرنسية وهو يحمل لواء نشر الإسلام والفكر الصوفي في أوروبا، انظر مجلة الدراسات والبحوث الصوفية صفحة (196) .

3 نشر في (2004/7/14م) في موقع إسلام أون لاين. نت 2004، انظر أخبار الأكاديمية على هذا الرابط .http://www.asheira.org/news.php

4 جريدة الشرق الأوسط، الجمعة 16 ذو القعدة 1424 هـ، 9 يناير 2004 العدد 9173.

5 وكالة الانباء المغربية في (2004/9/10م) .

-تولي عدد كبير من رؤس الصوفية المناصب الرسمية الكبيرة: وتصدُّر فتاوى جواز التوسل والتبرك بالأضرحة ودعاء أصحابها وفتاوى بجواز إقامة الموالد ونحوها المنصات الرسمية، كما يقدم في المحافل والمناسبات الرسمية الكبري رموز وشيوخ الصوفية!!

فلماذا هذا الإهتمام بنشر عقائد وأفكار الصوفية بشتى وسائل الدعم المادي والمعنوي؛ ثمة أسباب نجملها فيما يلي:-

- لأن الفكر الصوفي يحقق فصل الدين عن الحياة .
- لأن الفكر الصوفي يتبني الجبرية في باب القدر .
- لأن هذا الفكر الصوفي الخرافي يشوه الإسلام ويمنع من تمدده .
- لأن الفكر الصوفي الفلسفي يؤمن بوحدة الأديان كنتيجة لوحدة الوجود .
- لأن الفكر الصوفي يهدم قضية شمولية الإسلام .
- لأن الفكر الصوفي يهدم قضية الولاء والبراء .
- لأن الفكر الصوفي يربي اتباعه على التسليم للاستعمار وعدم مقاومته .

ما معنى التصوف وما أصل نسبته؟

-أصل هذه النسبة: تنازع العلماء فيها؛وإلى أي شيء تضاف؟ فقيل: هي نسبة إلى أهل الصُفَّة ، وقيل: نسبة إلى الصفوة، وقيل: نسبة إلى الصف المقدَّم، وقيل: بل نسبة إلى صوفة بن بشر رجل عرف بالزهد في الجاهلية، قال الإمام ابن تيمية: (وكل هذا غلط ، وقيل - وهو المعروف - أنه نسبة إلى لبس الصوف)،ونفى القشيري صحة هذه النسبة أيضًا،وقال: إن القوم لم يُعرفوا بلبس الصوف، وأيًّا كان أصل النسبة فإن اللفظ صار علمًا على طائفة بعينها، فاستغني بشهرته عن أصل نسبته.

-أما معنى التصوف: فللقوم عبارات مختلفة في ذلك تصور مقام كل واحد في التصوف وتصوره له، فقال بعضهم في تعريف التصوف:(أنه الدخول في كل خلق سني، والخروج عن كل خلق دني)،وقيل:(أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في ذلك الوقت)؛ بمعنى أنه إن كان في وقت صلاة كان مصليًّا، وإن كان في وقت ذكر كان ذاكرًا، وإن كان في وقت جهاد كان مجاهدًا، لذلك قيل: الصوفي ابن وقته، وقيل في تعريف التصوف:(الأخذ بالحقائق، واليأس بما في أيدي الخلائق)؛وقيل:(التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب)،وقيل غير ذلك.

التصوف اصطلاحًا:أصله مرادفٌ للزهد؛فهو:(العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة

ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة)[1] هذا مأخوذ من كمجموع أقوال أعلام مرحلة العباد والزهاد و أما يُعرف بالتصوف السُّنيّ ثم تطوَّر المفهوم من المعنى آنف الذكر وانحرف عن حقيقته من بداية المرحلة الثانية والتي بدأت بالمغالاة في العبادة والابتداع وفي خاتمتها ما يعرف بالعشق الإلهي ثم إلى مرحلة التصوف الفلسفي الوجودي ؛فما عاد ينطبق على التصوف الحالي التعريف السابق؛ بنص كلام أربابه وأعلامه القدامى والمعاصرين إذ عرفه بعضهم بالفناء وبوحدة الوجود والخرافات والشعوذة التي أسموها كرامات!!

متى نشأت الصوفية؟

نشأت الصوفية قبل سنة مائتين، وهذا ما قاله ابن خلدون - رحمه الله- في المقدمة،وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:(أن هذه الفرقة نشأت في أوائل القرن الثاني الهجري، وما اشتهرت إلا بعد القرن الثالث الهجري، يقال: إن أول ما ظهرت في دويرة للصوفية في البصرة، عند أصحاب عبد الواحد بن زيد)[2]؛فأول أمرهم في القرن الثاني سنتعرف عليهم في مرحلة العباد الزهاد؛والتي لم تنحرف عن منهج التوحيد والسُّنَّة؛وتقفي آثار السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم؛ ثم رويدًا رويدًا ظهرت بعد القرن الثالث وقد انحرف مسارها؛ عن المرحلة الأولى التي كانت على نهج الرعيل الأول.

مُقدِّمة

سنحاول بيان مراحل هذه الأطوار بذكر المعالم الرئيسية التي مرت بها الفرق عبر القرون، وما قد يكون من ظهور أفكار كبرى تصلح أن يعتبرها الباحث مرحلة من المراحل, فهو تطور امتزج فيه التاريخ بالفكر؛ فما أصعب أن تنفصل عرى الارتباط الذي دام من منشأ هذا التفرق حتى يوم الناس هذا.

وقد قسمنا مراحل تطور الصوفية إلى ثلاثة مراحل مسبوقة بمقدمة ثم نذكر المراحل الذي مر بها تطور فكر الصوفية حتى وصلت لما وصلت إليه الآن ..

تطورت الصوفية حتى وصلت إلى الغلو،من البدع العملية إلى البدع القولية الإعتقادية, بعد أن دخلت عليها عناصر خارجية, وهي كأي تفرق يبدأ بسيطاً ساذجاً ثم ينتقل إلى التأصيل والتفريع ثم الإيغال في الضلال. ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث

1 مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي محمود يوسف الشوبكي (مجلة الجامعة الإسلامية- المجلد العاشر: ص ١٣ - ١٦)

2 [مجموع الفتاوى: 359/10].

مراحل: أوائل الصوفية ومن مشى على طريقتهم ثم تقيد الصوفية بمصطلحات خاصة ثم دخول الفلسفة الغنوصية وظهور نظريات الاتحاد ووحدة الوجود هذه المراحل أو الطبقات(1)،ليست منفصلة عن بعضها وغير محددة بزمن معين وانتهت،بحيث أن كل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها, ولكن هذا التطور حصل في العصور الإسلامية فكان الغالب على بدايات التصوف عدم الغلو،ثم إن التصوف بلغ قمة الانحراف في القرن السابع على يد ابن عربي وابن الفارض وأمثالهما وصوفية اليوم مزيج من الانحراف العملي والعلمي فر يزال يوجد من يردد أقوال الغلاة عن علم وعن غير علم.

ما مراحل تطور التصوف والصُّوفية؟

المرحلة الأولى: ظهور طبقة العُبَّاد(2) والزهَّاد (ما يُعرف بالتصوف السُّنِّي)

وهذه المرحلة الأولى من مراحل ما عرَّفه البعض بالتصوف السُّنِّي؛ والصحيح تسميته بما ورد به الشرع التنسُّك والزهد والاجتهاد في العبادة وتزكية النفس وفق ما ورد في الكتاب والسّنَّة؛ وقد اشتهر طائفة من رجال بالزهد، ومراعاة أحوال

---

1 نعني بالطبقة هنا الذين يجمعهم منهج واحد وطريقة واحدة ولا نعني الجيل الواحد كما هو معروف في مصطلح المؤرخين من كتاب الطبقات.

2 **ومن هؤلاء العباد في المدينة:**

عامر بن عبد الله بن الزبير: كان يواصل في الصوم فيقول والده: رأيت أبا بكر وعمر ولم يكونا هكذا.

صفوان بن سليم: من الثقات قال عنه أحمد بن حنبل: يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره،وكان يصلي على السطح في الليلة الباردة لئلا يجيئه النوم؛ وقد أعطى الله عهداً أن لا يضع جنبه على فراش حتى يلحق بربه، توفي سنة 132هـ)(2)،فإذا كان ما أورده الذهبي صحيحاً فهذا خلاف قوله ﷺ (وأصلي وأنام).

ومنهم في البصرة: طلق بن حبيب العنزي،من كبار العاملين،وعطاء السلمي بكى حتى عمش.

ومنهم **كرز بن وبر الحارثي نزيل جرجان**: من العباد والزهاد قال عنه الذهبي:(هكذا كان زهاد السلف وعبادهم أصحاب خوف وخشوع وتعبد وقنوع لا يدخلون في الدنيا وشهواتها ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء والاتحاد).

ومنهم في الكوفة: الأسود بن يزيد بن قيس: كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يصفرَّ جسمه،وداود الطائي:يذكر عنه أنه ورث بيتاً فكان لا يعمره إذا خربت ناحية منه حتى خرب البيت كله وجلس في زاوية منه، وقد نحل جداً من قلة الأكل ،ويبدو أن من أسباب ظهور طبقة العباد والزهاد في القرن الثاني الهجري هو إقبال الناس على الدنيا يجمعون منها ويتفاخرون؛ فكانت ردة الفعل عند البعض هي الابتعاد الكلي عنها, ولا بد أن هناك أسباباً أخرى قد تكون شخصية،وقد تكون من أثر إقليم معين أو مدينة معينة، فإن من الخطأ تفسير ظاهرة ما بسبب واحد.

القلوب،حتى أصبحوا مضرب المثل في ذلك؛حيث نشأ المجتمع الإسلامي الأول نشأة طبيعية متكاملة غير متكلفة, جمعت بين بقايا من الفطرة السليمة والوحي المنزل من عند الله سبحانه وتعالى, كان العرب يومها وخاصة أهل المدن كقريش و الأوس والخزرج أقرب إلى الفطرة من الأمم الأخرى, فلا ريب أن الله اختار لنبيه أفضل الأجيال, رباهم رسول الله ﷺ بكنفه ورعايته فكانوا:(كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ...) ([1])، وعندما يبدر من أحدهم أي اجتهاد يخالف الحنيفية السمحة كان رسول الله ﷺ يصحح لهم الطريق ويعود بهم إلى الجادة المستقيمة, وعندما همّ ثلاثة من الصحابة بترك الدنيا من نساء وأموال بادر رسول الله ﷺ بردهم إلى الطريق الوسط قائلاً لهم: (أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء, فمن رغب عن سنتي فليس مني) ([2])،فالتوسط هو الأصل (وإذا نظرت في عمومات الشريعة, فتأملها تجدها حاملة على الوسط, فطرف التشديد يؤتي به في المقابلة من غلب عليه الانحلال, وطرف التخفيف في مقابلة من غلب عليه الحرج الشديد فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً وهو الأصل الذي يرجع إليه)([3])؛ كان الصحابة رضوان الله عليهم فيهم الفقير والغني, وفيهم التاجر والمزارع والعامل وكان بعضهم يتناوب الحضور للتعلم من النبي ﷺ ويبلغه للآخرين, وأما أهل الصفة فإنهم لم ينقطعوا للعبادة أو العلم باختيارهم وإنما كان أحدهم إذا وجد عملاً ترك حاله الأولى, هكذا كانت حياة الصحابة حياة طبيعية تجمع بين العلم والعمل والجهاد في سبيل الله, وبينما هو متعلم عند رسول الله ﷺ إذا هو بين أهله وولده وضيعة يمارس حياته اليومية المعتادة، والتزام أحدهم بعبادة معينة أكثر من الآخرين كفعل عبد الله بن عمرو بن العاص لا يغير من الصورة شيئاً فهو شخصية متكاملة ولا تزال الفوارق الفردية تمايز بين الناس في جانب دون آخر، وكان التابعون وكثير من تابعي التابعين على مثل ذلك, يجمعون بين العلم والعمل, بين العبادة والبعد عن الناس مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة ولأسباب معينة قد يغلب على أحدهم الخوف الشديد والبكاء المستمر, فهؤلاء وإن كانت أحوالهم عالية جداً, ولكن أحوال الصحابة ومن اقتفى أثرهم من التابعين أفضل, ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه:(أنتم أكثر صوماً وصلاة من أصحاب محمد وهم كانوا خيراً منكم قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لأنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة)([4])

---

1 (الفتح : ٢٩)
2 صحيح البخاري(5063) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
3 الموافقات للشاطبي ١١٣/٢. ط . دار الفكر بتعليق الخضر حسين.
4 ابن تيمية: الفتاوى ٣٠٤/٢٢ .

فمن أعلام هذه المرحلة:

1-أبو القاسم الجنيد بن محمد (ت 297هـ):– ويسمونه سيد الطائفة -:(ما أخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات)[1]،ومن أقوال الجنيد أيضًا:(الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام)،وقال:(من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)، ويرى الجنيد عند شيخه السري السقطي خرف كوز مكسور فيسأله عن ذلك فيقول: أبردت لي ابنتي ماء في هذا الكوز ثم غلبتني عيني فرأيت جارية فسألتها لمن أنت ؟ فقالت : لمن لا يشرب الماء البارد وضربته بيدها فانكسر)[2]، ويروي الجنيد عن بعض الكبراء أنه إذا نام ينادي:أتنام عني! إن نمت لأضربنك بالسياط ، وحكى الغزالي عن سهل بن عبد الله التستري: أنه كان يقتات ورق النبق مرة، ويشجع الغزالي على السياحة في البراري بشرط التعود على أكل أعشاب البرية والصيد !؟

2-ويصف **معروف الكرخي** نفسه فيقول:(كنت أصبح دهري كله صائماً، فإن دعيت إلى طعام أكلت ولم أقل إني صائم)[3]

3-ويقول **بشر الحافي**[4]:(إني لأشتهي شواء ورقاقًا منذ خمسين سنة ما صفا لي درهم)[5].

4- أبو محمد رويم بن أحمد(ت 303هـ) من أقواله:(إذا رزقك الله المقال والفعال، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة، وإذا أخذ منك الفعال وأبقى عليك المقال فإنها مصيبة، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة)

5- أبو العباس أحمد بن محمد الآدمي (ت 309هـ)، كان من كبار مشائخ الصوفية وعلمائهم، وكان من أقران الجنيد - رحمه الله - من أقواله: (من ألزم نفسه متابعة آداب الشريعة، نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه)انتهى.

6- أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم (ت 161هـ)، كان من أبناء الملوك، فخرج عن حاله تلك وتصوف، حتى صار مقدما في الصوفية، من أقواله:(إني لأسمع النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)انتهى.

7- أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني (توفي قبل 300هـ) ، كان من أولاد الملوك، وكان يقول:(من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات،

---

1 سير أعلام النبلاء : 69/14.
2 الكلاباذي : التعرف /155.
3 صفة الصفوة : 32/2.
4 هو بشر بن الحارث اشتغل بالعبادة واعتزل الناس , اثني عليه في عبادته وورعه ونسكه , وله أخوات ثلاث كن مثله توفي عام 227هـ . انظر : سير أعلام النبلاء 41/10.
5 صفوة الصفوة 329/2.

وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة)انتهى.

8- ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري (ت : 245هـ)،من أقواله: (مدار الكلام على أربع : حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل)،وقال:(من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه)انتهى

9- أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد (ت 260هـ)،كان أحد من أعلام التصوف السني من أقواله: (المعاصي بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت)، وقال:(من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال) انتهى.

فهؤلاء - السالف ذكرهم - بعض من ينسبونهم إلى أهل التصوف ممن كانت لهم أحوال صالحة، وأثنى عليهم علماء الإسلام.

10- أبو حمزة البغدادي البزاز(ت 269): من أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وهو مولى لعيسى بن أبان القاضي وكان من أقواله(من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا من الآفات: بطن خال من قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم)([1])

المرحلة الثانية: الغلو في العبَّادة والخروج عن الحد المأذون فيه شرعًا .

وفي هذه المرحلة الانتقالية بين هذا الزهد المشروع وبين التصوف حين أصبح له تآليف خاصة؛ويمثل هذه النقلة مالك دينار فنراه يدعو إلى أمور ليست عند الزهاد السابقين،فالمغالاة في العبادة لم تكن عند الزهاد والعباد من الرعيل الأول؛ومن ذلك التجرد أي ترك الزواج، الامتناع عن الزواج،أوسكنى الكهوف والخرائب،والامتناع عن أكل الطيبات من الطعام والشراب ونحو ذلك؛وكان يقول أحدهم:(لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب)(2)، ويقول:(إنه لتأتي عَلَيّ السنة لا آكل فيها لحماً إلا في يوم الأضحى, فإني آكل من أضحيتي)(3)، وكثيراً ما يقول: قرأت في بعض الكتب، قرأت في التوراة؛ ويروى عن عيسى عليه السلام: (بحق أقول لكم، إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس) أو قوله:(أوحى الله إلى نبي من

---

1 الرسالة القشيرية، أبو قاسم القشيري ص121.

2 سير أعلام النبلاء 156/8, عبد الرحمن بدوي : تاريخ التصوف 198- حلية الأولياء 359/2. وقد علق محقق السير الشيخ شعيب على هذا الكلام فقال: " منزلة الصديقين لا تنال بهذا النسك الأعجمي المخالف لما صح عنه ﷺ من ترك التبتل والرهبنة".

3 تاريخ التصوف /193.

الأنبياء) أو(قرأت في الزبور ...)(1)، فمن الواضح ومن خلال قراءة ترجمته في كتب الطبقات أنه متأثر بما ترويه الكتب القديمة عن الزهاد والرهبان .. ومن الواضح أن هذه الكتب قد حرفت ولسنا مأمورين بقراءتها بل منهيون عن الأخذ منهم وتقليدهم،عُرِفَ التَّصَوُّفُ في بداياته بأنه رياضات نفسية ومجاهدات للطباع ،وكسر لشهوات النفوس وتعذيب للجسد كي تصفو الروح ،وإذا كان هذا الصفاء الروحي يأتي بدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة فنحن هنا بصدد تشدد وتكلف لحضور هذا الصفاء ،وبصدد تنقير وتفتيش عن الإخلاص يصل إلى حد الوساوس ،وسنرى من أقوالهم وأحوالهم ما يؤيد هذا .

ومن آداب الصوفية عند أبي نصر السراج:(إيثار الذل على العز،واستحباب الشدة على الرخاء)(2) ورتبوا أموراً لمن يريد الدخول معهم أو للمريد ومنها : اشتراط الخروج من المال كما يذكر القشيري في رسالته ،وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء وأن يترك التزوج ما دام في سلوكه [3], و أما أبو طالب المكي فيطلب من المريد ألا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة [4], والجنيد يطلب من المريد ألا يشغل نفسه بالحديث(5) ،كل هذه الأمور تخالف التوسط والحنيفية السمحاء وتخالف ما كان علية الصحابة ومن ميزات هذه المرحلة :

1- استحداث ما يسمونه (السماع) وهو الاستماع إلى القصائد الزهدية المرققة , أو إلى قصائد ظاهرها الغزل ويقولون : نحن نقصد بها الرسول ﷺ , ومنشدهم يسمونه (القوَّال) ويستعمل الألحان المطربة .

2-بدأ الكلام عن كيان خاص مميز يسمى(الصوفية)وظهرت كلمات مثل(طريقتنا) و(مذهبنا)(6) .

ويقول أبو سليمان الداراني:(إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة)(7)،فلماذا (علمنا) ولماذا (من نكت القوم) .

2- صنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد وتخلط الصحيح بغير الصحيح وتتكلم عن خطرات النفوس والقلوب والدعوة إلى الفقر وتنقل عن أهل الكتاب، مثل كتب الحارث المحاسبي , وأبي طالب المكي في (قوت القلوب)، وصنف لهم أبو عبد الرحمن السلمي في التفسير، وأبو نعيم الأصفهاني في (حلية

---

1 انظر ترجمة في حلية الأولياء 357/2 .
2 اللمع /28.
3 الشاطبي : الإعتصام 214/1.
4 تلبيس إبليس /141
5 ربما كان مقصوده الانتباه إلى تزكية النفس في بداية الطريق دون التعمق في مصطلحات الحديث وإلا فإن ترك الحديث يؤدي إلى الكفر .
6 ابن القيم : مدارج السالكين 142/3.
7 المصدر السابق 142/3.

الأولياء)،يقول ابن خلدون:(أصل طريقتهم محاسبة النفس والكلام في هذه الأذواق ثم ترقوا إلى التأليف في هذا الفن فألفوا في الورع والمحاسبة كما فعل القشيري في (الرسالة) وذلك بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط)([1]).

وفي أواخر هذه المرحلة يطغى على التصوف مصطلح العشق والحب الإلهي؛ وربما يكون عبد الواحد بن زيد ورابعة العدوية ([2]) من أقطاب هذه المرحلة الانتقالية, واستحدثت كلمة العشق للتعبيرعن المحبة بين العبد والرب ويرددون أحاديث باطلة في ذلك مثل: " إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني وعشقته" وبدأ الكلام حول العبادة لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار،وإنما قصد الحب الإلهي وهذا مخالف للآية الكريمة: يدعوننا رغبا ورهباً" ([3])، ومثل قول رابعة لرجل رأته يضم صبياً من أهله ويقبله:"ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغً لمحبة غيره تبارك اسمه" ([4]) ،وهذا تعمق وتكلف وتكلف لأن الرسول ﷺ كان يقبل أولاد ابنته ويحبهم، يقول ابن تيمية : ملاحظاً : هذا التطور:(في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي والكلام والتصوف فكان جمهور الرأي في الكوفة, وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة, فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وظهر أحمد بن علي الهجيمي([5]) وبنى دويرة للصوفية وهي أول ما بني في الإسلام (أي دار خاصة للالتقاء على ذكر أو سماع) وصار لهم من التعبد المحدث طريق يتمسكون به, مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع, وصار لهم حال من السماع والصوت, وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل, وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين" ([6])

كما لخص هذا التطور الإمام ابن الجوزي المرحليتين السابقتين الأولى والثانية؛فقال: (في عصر الرسول ﷺ كانت كلمة مؤمن ومسلم, ثم نشأت كلمة زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام وتعلقوا بالزهد والتعبُّد واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها،هكذا كان أوائل القوم ولبَّس عليهم إبليس أشياء ثم على من بعدهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن)([7]) = هؤلاء الذين اتخذوا طريقة تفردوا بها ويسميهم

---

1 المقدمة /469.

2 ابن كثير/ البداية والنهاية ١٨٦/١٠ . قال ابن تيمية: قال بعضهم : مَنْ عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق, ومَنْ عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو مؤمن موحد. انظر الفتاوى ٨١/١٠.

3 الأنبياء/٩٠

4 سير أعلام النبلاء ١٥٦/٨.

5 كان تلميذ شيخ البصرة عبد الواحد بن زيد, وكان يتكلم في القدر, وقف داراً بالبصرة لمتعبدين. قال الدارقطني : متروك الحديث قال الذهبي : ما كان يدري الحديث, ولكنه عبد صالح وقع في القدر نعوذ بالله من ترهات الصوفية. توفي سنة ٢٠٠هـ انظر: سير أعلام النبلاء ٤٠٨/٩.

6 الفتاوى : ٣٥٩/١٠.

7 تلبيس إبليس /١٦١.

ابن الجوزي (أوائل القوم) الذين جمعوا بين الزهد وبين التعمق والتشدد والتفتيش على الوساوس والخطرات مما لم يكن على عهد السلف الأول!!

ولنا على هذه المرحلة الملاحظات التالية :

1. هذا التعمق والتشدد في العبادات مع ترك المباحات لم يعهد عند السلف رضوان الله عليهم، وكان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد([1])، ولم يأمر ﷺ أحداً من أصحابه بالخروج عن ماله ،والتشدد في الدين كدوام الصيام والقيام هو داء رهبان اليهود والنصارى([2])،وترك التزوج وإدامة الجوع فيه شبه بالتبتل الذي رده الرسول ﷺ على بعض أصحابه ،وبسبب هذه الرياضات فقد ابن عطاء الأدمي البغدادي عقله ثمانية عشر عاماً ، وقال الذهبي معلقاً على ذلك :(ثبت الله علينا عقولنا فمن تسبب في زوال عقله بجوع ورياضة صعبة فقد عصى وأثم)([3])

وأما السياحة في البراري فهي من السياحة المنهي عنها وهي من الرهبانية المبتدعة ،وكأنهم لم يسمعوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أبي أمامة أن رجلاً قال:يا رسول الله أئذن لي في السياحة ،قال رسول الله ﷺ:(إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)([4]).

يقول ابن تيمية :(وأما السياحة التي هي الخروج في البرية فليست من عمل هذه الأمة)([5]) ؛وقول الإمام الذهبي: (الطريقة المثلى هي المحمدية،وهو الأخذ من الطيبات،وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف فلم يشرع لنا الرهبانية ولا الوصال ولا صوم الدهر والجوع أبو جاد الترهب)([6])؛(وقد لُبِّس عليهم في ترك المال كله ،وكانت مقاصدهم حسنة وأفعالهم خطأ والعجيب من الحارث المحاسبي والغزالي كيف حثوا على ذلك،وأما استشهاد الحارث بأن عبدالرحمن بن عوف يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال فهذا خطأ وجهل بالعلم وقصة حبس ابن عوف غير صحيحة، ولم ينه الله عز وجل عن جمع المال وإنما النهي عن القصد بالجمع)([7])

إن السلف عندما فهموا الإسلام فهماً صحيحاً لم يتعمقوا ويشددوا على أنفسهم , فهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول له مولاه برد: ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء،قال سعيد: ما يصنعون ؟ قال: يصلي أحدهم الظهر ثم لا يزال صافًا رجليه

---

1 تلبيس إبليس / 151.
2 الدهلوي : حجة الله البالغة /120.
3 سير أعلام النبلاء : 153/14.
4 سنن أبو داود 5/3 كتاب الجهاد .
5 ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم /105 وقد نقل كلام الإمام أحمد بن حنبل .
6 سير أعلام النبلاء 89/12 ويعني بكلمة (أبو جاد) البداية والمقدمة .
7 تلبيس إبليس /180.

يصلي حتى العصر،قال سعيد: ويحك يا برد،أما والله ما هي بالعبادة ،تدري ما العبادة ؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله والكف عن محارم الله)([1]).

إن هذا الجسد مطية للنفس فإذا لم تعط هذه المطية حقها لم تستطع أن تحمل النفس بآمالها الكبيرة ،ولكن عندما يحدث الزهد غير المشروع والتبتل والجوع وترك اللحم، الاقتصار على كسرة الخبز وشربة الماء وعندئذ تلزمه خطرات النفس ويسمع أشياء تتولد عن الجوع والسهر،وربما أدى به إلى أمراض نفسية؛ (والوصول إلى العبادة لا يكون إلا بالحياة الدنيا ولا سبيل إلى ذلك إلا بحفظ البدن ([2])، ومجرد ترك الدنيا ليس في كتاب الله ولا سنة نبيه وما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعاً في الآخرة)([3]).

إن الزهد الحقيقي هو الزهد في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وترابها والزهد في مدح الناس أو ذمهم , فمن كان هكذا فهو من أطباء القلوب،فإن بدا منه ما يخالف الشريعة نَرُدَّ عليه بدعته ونضربها في وجهه [4]. وقد مدح الخليفة العباسي المنصور عمرو بن عبيد المعتزلي على زهده فعلق ابن كثير:(الزهد لا يدل على صلاح فإن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد مالا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين)([5])

2. قد يظن العوام الذين يرون عبادة هؤلاء أنهم أفضل من الصحابة، لأنهم لم يسمعوا أن الصحابة كانوا يفعلون مثل هذا والناس يعجبون بالغرائب والتشدد ؛ولا يعلمون أن الشريعة جاءت بالطريق الأوسط الأعدل ، وقلة العلم بالآثار والسنن هي التي أوصلت بعض هؤلاء الناس إلى التشدد ؛وظنوا أن القصد من الشريعة هو العمل ولذلك فلا داعي للعلم ،وإذا كان من الصعب تكامل الشخصية الإسلامية على مستوى جيل من الناس كما وجد عند الصحابة فلا أقل من اقتفاء آثارهم ما أمكننا ذلك ولا نتطرف في ناحية دون أخرى .

إن السماع الذي استحدثوه هو الذي أنكره الشافعي رضي الله عنه عندما زار بغداد وقال:(خلفت ببغداد شيئاً يسمونه التغيير يصدون

---

1 ابن سعد : الطبقات 135/5 .
2 الذريعة إلى مكارم الشريعة / 53 لراغب الأصفهاني .
3 ابن تيمية : الفتاوى 148/20 .
4 أبجد العلوم : 2/ 374 للقنوجي نقلاً عن الشوكاني .
5 البداية والنهاية : 80/10 .

بـــه النـــاس عـــن القـــرآن)[1] ويقـــول ابـــن تيميـــة :(وهـــذا حـــدث فـــي أواخـــر المائـــة الثانيـــة وكـــان أهلـــه مـــن خيـــار الصـــوفية)[2] ويقـــول أيضـــاً: (وهـــذه القصـــائد الملحنـــة والاجتمـــاع عليهـــا لـــم يحضـــرها أكـــابر الشـــيوخ كالفضـــيل بـــن عيـــاض وإبـــراهيم بـــن أدهـــم والكرخـــي ، وقـــد حضـــرها طائفـــة مـــنهم ثـــم تـــابوا وكـــان الجنيـــد لا يحضـــره فـــي آخـــر عمره)[3].

3. قلنـــا أنـــه بـــدأ الكـــلام عـــن كيـــان خـــاص يســـمى (الصـــوفية) وقـــد يقـــول معتـــرض : إذا كانـــت القضـــية قضـــية أســـماء مســـتحدثة فقـــد حـــدث الانتســـاب إلـــى الفقـــه الشـــافعي والمالكيـــة ... أو الانتســـاب إلـــى الحـــديث , والجـــواب هـــو أنـــه إذا كانـــت الأســـماء المســـتحدثة تنســـب علـــى علـــم شـــرعي يحبـــه الله ورســـوله مثـــل تعلـــم الفقـــه والحـــديث،ولا يـــؤدي هـــذا الانتســـاب إلـــى تعصـــب حـــول شـــخص معـــين فـــلا مـــانع مـــن ذلـــك (والانتســـاب قـــد يكـــون محمـــوداً شـــرعاً مثـــل المهـــاجرون والأنصـــار وقـــد يكـــون مباحـــاً كالانتســـاب إلـــى القبائـــل والأمصـــار بقصـــد التعريـــف فقـــط ،وقـــد يكـــون مكروهـــاً أو محرمـــاً كالانتســـاب إلـــى مـــا يفضـــي إلـــى بدعة أو معصية)[4].

4. إن الكتـــب التـــي صـــنفت فـــي هـــذه الفتـــرة والتـــي ذكرنـــا بعضـــاً منهـــا :هـــذه الكتـــب كـــان للعلمـــاء فيهـــا رأي ؛قـــال ابـــن الجـــوزي عـــن كتـــاب (قـــوت القلـــوب):ذكـــر فيـــه الأحاديـــث الباطلـــة والموضـــوعة وقـــال عـــن (حليـــة الأوليـــاء) لأبـــي نعـــيم: لـــم يســـتح أن يـــذكر فـــي الصـــوفية أبـــا بكـــر وعمـــر وعثمـــان وعليـــاً وســـادات الصـــحابة[5]،عليـــه وســـئل أبـــو زرعـــة عـــن كتـــب المحاســـبي فقـــال: إيـــاك وهـــذه الكتب،فقيـــل لـــه: فـــي هـــذه عبرة؛قـــال :(مـــن لـــم يكـــن لـــه فـــي كتـــاب الله عـــز وجـــل عبـــرة فلـــيس لـــه فـــي هذه الكتب عبرة)[6]

5. فـــي هـــذه المرحلـــة المبكـــرة يبـــدو أن هنـــاك تـــأثيراً للنصـــارى فـــي تكـــون القناعـــات بتعـــذيب الجســـد كـــي تصـــفو الـــروح ؛روى أحمـــد بـــن أبـــي الحـــواري قصـــة لقائـــه براهـــب ديـــر حرملـــة وقـــد ســـأله عـــن ســـبب

---

1 يقول ابن القيم : " فإذا كان هذا قول الشافعي في التغيير وهو شعر يزهد في الدنيا ولكنه ينشد بألحان فليت شعري ما يقول في سماع التغيير عنده تفلة في بحر . انظر : إغاثة اللهفان 239/1.

2 الاستقامة 297/1 .

3 الفتاوى 534/11 , والمقصود بـ (لا يحضره) ما يسمى عند الصوفية بالسماع .

4 ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم /71 .

5 تلبيس إبليس / 165 .

6 نفس المصدر / 167.

رهبانيته فقال : البدن خلق من الأرض والروح خلقت من ملكوت السماء فإذا جاع بدنه وأعراه وأسهره نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه وإذا أطعمه وأراحه أخلد إلى الأرض وأحب الدنيا . حدث أبي الحواري شيخه أبا سليمان الداراني بمقالة الراهب هذه فقال الشيخ " (إنهم يصفون) وكأنه أعجب بكلام الراهب ولذلك علق الذهبي عليه بقوله : (الطريقة المثلى المحمدية)([1]).

6. إن أهل هذه الطبقة من الصوفية صادقون في زهدهم وبعدهم عن الدنيا ولكن فيهم تعمق وتشدد ووساوس لم يأمر بها الشارع بل لا يحبها ونحن لا نستبعد أن يكون هناك من يريد إفساد عقائد المسلمين فإدخال العقائد الباطنية ويكون فعله هذا من وراء ستار كما أخذوا التشيع بالمعنى السياسي وأدخلوه في دهاليز الباطنية([2])؛ولذلك يبدر منهم أحياناً كلمات تجعلنا نتوقف عندها طويلاً كما يروى عن الجنيد أنه قال للشبلي: نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ)([3])، مع أن بعض العلماء يستبعد كلمات تنسب إليه مثل قوله (انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة) يقول ابن تيمية:(فيه نظر؛هل قاله؟ والجنيد الاستقامة غالبة عليه)([4]) .

7. هذه هي حال هذه الطبقة فيها زهد مشروع خلط بغير المشروع مع أن أحوالهم في العبادة والأذكار والبعد عن الرياء أحوال عالية ثم تطور الأمر بعد هذا بإدخال مصطلحات فيها حق وباطل أو تحتمل هذا وذاك وزاد الانحراف واتسعت الفرجة والبعد عن السنة وهو ما سنتكلم عنه الفصل القادم إن شاء الله .

المرحلة الثالثة: الصوفية الفلسفية والوجودية .

تعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل الصوفية ؛حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية فابتعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام فكانت شبيهة بالنصرانية عندما دخلها الروم ومزجوها

---

1 سير أعلام النبلاء : 89/12.

2 يقول رشيد رضا : " الذي أستنبطه من طول البحث والمقارنة أن أكثر الذين خلفوا نصوص الشريعة بأقوالهم وكتبهم من لابسي لباس التصوف هم باطنية في الحقيقة ثم قلدهم كثير من المسلمين وهم لا يعرفون أصلها " انظر : تاريخ الإمام 115/1 .

3 الكلاباذي : التعرف / 145 .

4 منهج ابن تيمية رحمه الله في الجنيد وأمثاله من أوائل الصوفية هو الاعتذار عن بعض كلماتهم واستبعادها واستبعادها لما يرى من صدقهم في عبادتهم وهذا منهج سديد حيث يغلب الاحتياط لدين المسلم حتى لا يقع في الرجال ،ولكن عندما ننظر إلى مجموع ما نقل عن الجنيد ونظرائه فإن الأمر يختلف فإن كثرة ما روي عنه تشجع على اعتباره من مؤسسي التصوف .

بالتثليث والفلسفة ولذلك قيل إن النصرانية ترومت ولم يتنصر الروم ؛بل نستطيع أن نجزم من خلال استقراء ما طرأ على الرسالات السماوية التي بدلت وحرفت كاليهودية والنصرانية أن للفلسفة دورًا كبيرًا في هذا التبديل ؛ فبسبب نقد الفلاسفة للنصوص التوراتية واتهامها بأنها ساذجة أو أساطي؛ تحت هذا الضغط راح علماء اليهود يؤولن النصوص تأويلات رمزية كما فعل (فيلون) اليهودي،فأولوا إبراهيم عليه السلام بأنه النور، وزوجته سارة بأنها الفضيلة وهكذا فعلوا بقصة آدم وحواء وقصة بني آدم وقصة يوسف عليه السلام ،ومن (فيلون انتقلت طريقة التأويل الرمزي إلى النصرانية خصوصاً عندما هاجمها رجال الأفلاطونية المحدثة وممثلو الثقافة اليونانية، وأقر رجال اللاهوت النصراني على أنه ورد في الأناجيل أشياء غير معقول فأولوها تأويلاً يرضى عنه الفلاسفة([1]).

وفي الإسلام جاء الفلاسفة بعد ترجمة الكتب اليونانية ككتاب " التاسوعات" لأفلاطين الإسكندري، نقله إلى العربية عبد المسيح بن ناعمة الحمصي بعنوان " الأثولوجيا" أي الربوبية ([2]) كما ترجم كتاب " أثولكوجيا " للأرسطوطاليس وفيه نظرية الفيض والإشراق التي ستلعب دورًا خطيرًاً في التصوف خصوصًا عند السهروردي ([3]) وابن عربي([4]) وتحت ضغط الفلسفة قام المعتزلة بحذف أو تأويل كل نص يناقض العقل – بزعمهم – كما غرقوا في الجدل العميق الذي يدور حول ألفاظ (الجوهر – والجزء الذي لا يتجزأ – والجسم – والمتحيز و .... الخ) ،ومثلوا دور التيار الفكري أحسن تمثيل؛فانحرفوا بذلك عن الإسلام العملي الإيجابي.

وأما الصوفية فقد دخلت عليهم الفلسفة من باب (التشبه بالإله على قدر الطاقة) فحاولوا إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال،

---

1 انظر البحث الذي كتبه د . عبد الرحمن بدوي عن التأويل بالباطل وأثره في التوراة والإنجيل في كتابه مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني .

2 أحمد أمين : ظهر الإسلام 156/4.

3 يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي من مؤيدي فلسفة الإشراق التي من زعمائها أفلوطين , ثبت عليه الانحلال من الدين وادعاء النبوة فأفتى علماء حلب بكفره وقتل سنة 587هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء 201/21 وبدوي : شخصيات قلقة /95.

4 هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ولد (بمرسية) سنة 560هـ ونشأ بها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد , كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب , اختلف الناس في شأنه فذهب طائفة إلى أنه زنديق وقال آخرون إنه ولي ولكن يحرم النظر في كتبه , والصحيح أنه اتحادي خبيث , ولم يشتهر أمره وكتبه إلا بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس إنما يجتمع به آحاد الاتحادية ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك , توفي سنة 637هـ . انظر : شذرات الذهب لابن عماد 190/5 والبقاعي / 178 , وبدوي : تاريخ التصوف / 41

كما فعل الغزالي ومن تبعه في كتابه:(المضنون به على غير أهله)[1]، ثم جاء ابن عربي وتلامذته فقالوا بالوحدة المطلقة ؛لأن الفلاسفة يقولون: الوجود الحقيقي هو للعلة الأولي (الله) لاستغنائه بذاته ،فكل ما هو مفتقر إليه فوجوده كالخيال، ومن هنا نشأت نظرية(وحدة الوجود)عند ابن عربي وقد انطلقت ابتداء مما يردده الصوفية بشكل عام من أن الموجود الحق هو الله سبحانه ويعنون بذلك أن الموجودات والكائنات إنما هي صور زائفة ومجرد أوهام وليست ذاتاً منفصلة قائمة بنفسها فمثلها لا يستحق أن يطلق عليه الوجود الحقيقي[2]،ولكنها حرفت عند ابن عربي عن مفهومها لدى الصوفية بحيث انتهى إلى القول بوحدة الوجود فقال أن الوجود الحقيقي هو الله سبحانه ،ولكننا نرى هذه الكثرة والتعدد قائمة أمام أعيننا فلا يمكن إنكارها ومن ثم فهذه الموجودات كلها ليست سوى الله ذاته – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً – وكلها مظهر من مظاهره وتجل من تجلياته ،وليست آية من آياته كما مفهوم أهل السنة فحقيقة الرب إذن أنه وجود مطلق لا اسم له ولا صفة ولا يرى في الآخرة وليس له كلام ولا علم ولا غير ذلك ولكن يُرى في الكائنات[3]،فكل كائن هو الله والله هو كل كائن، فاتحد بذلك الوجود مع الخالق المعبود ،وتم له ما أراد من هدم صرح التوحيد وكان هذا القول أشد شركاً من قول النصارى ؛إذ أن الكل في هذا التصور المريض إله يعبد.

ويحاول ابن خلدون شرح فكرة ابن عربي؛ إذ أن هذه التصورات الباطلة عادة ما تكون غامضة ومتناقضة حتى على أصحابها , يقول ابن خلدون : يعنون بهذه الوحدة أن الوجود له قوى ذاتية فالقوة الحيوانية فيها قوة المعدن وزيادة ؛والقوة الإنسانية فيها قوة الحيوان وزيادة , والفلك يتضمن الإنسانية وزيادة , وكذلك

---

1 ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل 82/5 .

2 بعض المفكرين في هذا العصر – وهم من أهل السنة – من أطلق عبارة : أن الموجود والحق هو الله سبحانه وإنما قصد بذلك معنى لا يصادم الشرع وهو أن الله سبحانه وهو الباقي السرمدي بخلاف الموجودات الغائبة التي لا تستطيع القيام بنفسها بل هي مستندة إلى وجود الله سبحانه و وهو معنى وإن لم يصادم الشرع إلا أنه مدخل لكثير من التصورات التي قد تؤدي للوقوع في البدعة , والالتزام بالألفاظ الشرعية أولى وأهل السنة يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى حق قيوم على مخلوقاته , وأنه خلق الكائنات وجعل لها ذوتاً منفصلة لا علاقة لها بذاته , وهي موجودة حقيقة وليست صوراً أو أوهاما وأنها تفني في هذه الحياة الدنيا , وأن وجودها مستقل عن الخالق المعبود .

3 انظر البقاعي في كتابه : تنبيه الغبي 40/19 وابن تيمية في الإيمان الأوسط /132 والشوكاني في قطر الولي /190 .

الـــذوات الروحانيـــة (الملائكـــة) ثـــم القـــوة الجامعـــة التـــي انبثـــت فـــي جميع الموجودات ،فالكل واحد هو نفس الذات الإلهية)([1])

وحين يرد السؤال: كيف يقال بوحدة الوجود ؟ وهناك خالق ومخلوق ومؤمنون وكفار والكفار يعذبون في النار فمن الذي يعذبهم ؟ ... حتى لا يرد هذا السؤال راح ابن عربي يحرف كل آيات القرآن الكريم ويطبق باطنيته وكفره في كتاب (فصوص الحكم) فموسى عليه السلام لم يعاقب هارون عليه السلام إلا لأن هارون أنكر على بني إسرائيل عبادة العجل،وهم ما عبدوا إلا الله لأن الله قضى ألا نعبد إلا إياه ولذلك كان موسى أعلم من هارون([2]) والريح التي دمرت عاد هي من الراحة لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة([3])،ويحكم ابن عربي بإيمان فرعون بقوله تعالى:(قرة عين لي ولك)؛فكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق([4])؛وهكذا راح يعيث فسادًا في بقية قصص الأنبياء ومن شاء فليرجع إلى كتبه ففي كل سطر سيجد رائحة (وحدة الوجود)؛وكلامه هذا في الحقيقة هو إبطال للدين من أصله لأن وعيد الله للكفار لا يقع منه شيء فهو وتلامذته يتسترون بإظهار شعائر الإسلام وإقامة الصلاة والتزي بزي النسك والتقشف وتزويق الزندقة باسم التصوف([5])

فالفلاسفة لم يقولوا بوحدة الوجود على طريقة ابن عربي ولكنهم هم الذين مهدوا الطريق لهذه النظرية الباطنية بقولهم على الله مالا يعلمون ووصفهم إياه بصفات من نسج خيالهم،وهذا كله بسبب بعدهم عن الشرائع السماوية والأخذ من نور الأنبياء،ولذلك تخيلوا الإله ذاتاً بسيطة منزهة عن أي شائبة من شوائب التركيب،والصفات مثل العليم القدير السميع البصير هي عندهم تركيب ،فقالوا أن من أحق صفاته(الوجود)،وإذا قيل لهم وجود أي شيء ؟ فالجواب ليس بوجود شيء ،فهو هكذا وجود بلا أية صفة فليس هذا الوجود هو الله سبحانه الذي نعرفه نحن المسلمين والذي أرسل الأنبياء ونزل الكتب،وإنما هو عندهم وجود هو الله سبحانه الذي نعرفه نحن المسلمين والذي أرسل الأنبياء ونزل الكتب،وإنما هو عندهم وجود مطلق بلا أية صفة فليس هذا الوجود هو الله سبحانه الذي نعرفه نحن المسلمين والذي أرسل الأنبياء ونزل الكتب،وإنما هوعندهم وجود مطلق بلا أية صفة،وطبعاً هذا لا يكون إلا تصورات باطلة في أذهانهم وهو غير الواقع ،وبما أن هذه الصفة

---

1 المقدمة /471 .
2 البقاعي / 120 نقلاً عن فصوص الحكم – فص 192 .
3 المصدر السابق / 95 – فص رقم 109 .
4 المصدر السابق 128 وفي هذا المقام لا بد من القول بأن اعتذار البعض عن ابن عربي بأنه يقصد كذا أو كذا ويؤولون كلامه , هذا غير مقبول . قال العراقي " لا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ولا يؤول كلامه ولا كرامة " .
5 انظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للشيخ برهان الدين البقاعي .

(الوجود) هي أخص وصف لله ؛تركب في عقولهم أن كل وجود هو واجب مثل وجود لله ؛وبما أن العالم موجود فهو الله ؛تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا([1])

هذا الكلام من الفلاسفة كان الإرهاص الذي أدى بابن عربي إلى القول بوحدة الوجود وإن كان مذهبه أكثر شراً من مذهب الفلاسفة خاصة وأنه آيات القرآن لتنسجم مع نظريته الباطلة وخاصة أن كثيراً من المسلمين المغفلين من يعظمه ويسميه " الشيخ الأكبر " والكبريت الأحمر!! .

طبعاً هناك روافد أخرى أوصلت هؤلاء الناس إلى هذا القول الشنيع الذي يعتبر من أشد المخالفات للإسلام وعقيدة التوحيد ومن هذه الروافد الفناء الذي تحدثنا عنه في المبحث السابق؛كما أن نفي صفات الله التي قالت بها الجهمية وانتشر شيء من أثرها في صفوف المسلمين؛يمكن أن يساعد على نظرية الوحدة،إن نفي صفة العلو مثلاً يؤدي إلى القول بأنه سبحانه في كل مكان،ثم وزعوه في الموجودات كلها،مع ذلك فسيبقى للفلسفة الدور الأكبر في محاولة تخريب العقيدة الإسلامية الصافية السهلة،بل بتخريب المجتمعات الإنسانية،لأنها تقوم على نظريات في الذهن وليست في الواقع،وهذا مما حدا بعالم كبير كابن تيمية أن يقول محذراً منها بعد أن نقذ إلى أعماقها: " ولا شك أن كل من كان أقرب إلى الشرائع السماوية كان اقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة .

وهل رأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى وهو هنا يلتقي مع مفكر غربي هو الدكتور ألكسس كاريل الذي يرى أن الفلسفة أساءت كثيراً للمجتمعات الغربية حين كانت تنظر في الكتب فقط دون معرفة الواقع العملي،ويقول: (ليس هناك مذهب فلسفي قد استطاع أن يحظى بقبول جميع الناس،وكل استنباطات الفلاسفة ما هي إلا فروض)([2])،و يتابع نقده للفلسفة :(كان من الممكن للعلم أن يكفل لنا نجاح حياتنا الفردية والاجتماعية ولكننا فضلنا نتائج التفكير الفلسفي فارتضينا أن نأسن وسط المعاني المجردة،ولا شك أن فلاسفة عصر النور هم الذين مكنوا لعبادة الحرية بصورة عمياء في أوروبا وأمريكا)([3]).

إذا المشكلة واحدة في القديم والحديث , فعندما يبتعد الناس عن الشرائع السماوية التي جاءت لخير الإنسان في الدنيا والآخرة ؛تأتيهم الأزمات تلو الأزمات ،أزمات اجتماعية وسياسية واقتصادية،نتيجة هذا الفصام النكد بين ما فطر الإنسان عليه من التوجه إلى بارئه وبين شياطين الإنس وما يوحون به ويبدو أن النفس الإنسانية يصعب عليها الإستمرار في طريق الإعتدال فهي إما أن تميل إلى التشدد والغلو أو إلى التساهل والترخص والخروج عن التكاليف وقد يسول الشيطان لمن أحس من

---

1 انظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للشيخ برهان الدين البقاعي .
2 تأملات في سلوك الإنسان 47/1 .
3 المصدر السابق 7/1 .

نفسه زيادة فهم أنه إن رضي في علمه ومذهبه بظاهر السنة كان مثل العامة ولذلك لا بد من التنطع والتبدع والإتيان بالغرائب وهذه شهوات خفية لا يدركها ولا يبتعد عنها إلا العلماء الربانيون .

ولعله من المناسب قبل أن ننهي هذا المبحث أن نذكر رأي بعض العلماء في ابن عربي وتلامذته باعتباره زعيم هذه المدرسة الوجودية .

قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في ابن عربي: (هو شيخ سوء مقبوح كذاب،يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً)[1]،ويروي ابن تيمية عن الشيخ إبراهيم الجعيري أنه كان يقول: (رأيت ابن عربي هو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله, وبكل نبي أرسله الله)[2].

وقال ابن تيمية[3]: (ورأيت بخطه في كتابه (الفتوحات المكية) هذين البيتين :

الرب حق ،والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد ، فذاك رب أو قلت رب أني يكلف

ويقول البقاعي قاطعاً الطريق على من يؤول لابن عربي :

(قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر تورية , كفر ظاهراً وباطناً)[4].

ومن تلامذة ابن عربي ى: ابن الفارض الذي يؤكد وحدة الوجود دون خجل أو مواربة،وفي قصيدته المشهور (بالتائية)

يعيد هذه الفكرة ويكررها حتى لا يبقى شك عند القارئ أو السامع مثل قوله :

لها صلاتي بالمقام أقيمها وأشهد أنها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد إلى حقيقة الجمع في كل سجدة
وما كان صلي سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
ومازلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهل بعد هذا من تصريح ،صلاته لنفسه لأنها هي الله والعياذ بالله وحتى لا يظن أحد أن هذا (سكر) الصوفية يؤكد أنه في حالة صحو:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذا تحلت تجلت

ولا يزال الصوفية إلى الآن يعجبون بهذه التائية ويسمون صاحبها (سلطان العاشقين) رغم ما فيها من كفر،ورغم ما يقولون عنه أنه كان يحب الجمال،وأنه كان يذهب إلى قرية (البهنسا) فيرقص على الدف مع النساء وهكذا يدجلون على الناس ويقولون بأن هذا الرقص من الدين والحقيقة أنها مواخير يخجل منها أي

---

1 الفتاوى لا بن تيمية 240/2 .
2 نفس المصدر 240/2 .
3 الفتاوى 242/2 .
4 تنبيه الغبي /23 .

مسلم استروح رائحة الإسلام ،لقد ابتلي المسلمون بمن فسد من هؤلاء الصوفية فبثوا فيهم أوهاماً قد تملك الجاهل وتربك العاقل إذا لم يغلبها بالتمسك بمنهج أهل السنة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

من أبرز أعلام هذه المرحلة:

-ابن عربي: هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ولد (بمرسية) سنة 560هـ الشهير بابن عربي .

-ابن الفارض: هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين؛ ومن القائلين بالحلول ووحدة الوجود، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ «سلطان العاشقين»،والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر،ولد بمصر سنة 576 هـ الموافق 1181م، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر،ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد،رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها،وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا.

- أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز(ت277): أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري من أهل بغداد،وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «من أئمة الصوفية وأكابر مشايخهم، وقيل إنّه أول من تكلّم في علم الفناء والبقاء»(1)

-الحلاج: أبو الْمُغِيث الحُسَيْن بن مَنْصُور الحَلاَّج (858 - 26 مارس، 922) (244 هـ 309 هـ)؛ شاعر صوفي من شعراء الدولة العباسية، يُعد من روّاد أعلام التصوف في العالم العربي والإسلامي؛وقال ابن تيمية: (مَنِ اعْتَقَدَ مَا يَعْتَقِدُهُ الْحَلاجُ مِنَ الْمَقَالاتِ الَّتِي قُتِلَ الْحَلاجُ عَلَيْهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ; فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ إنَّمَا قَتَلُوهُ عَلَى الْحُلُولِ وَالاتِّحَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَقَالاتِ أَهْلِ الزَّنْدَقَةِ وَالإِلْحَادِ كَقَوْلِهِ: أنا الله. وَقَوْلِهِ: إلَهٌ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهٌ فِي الأَرْضِ... وَالْحَلاجُ كَانَتْ لَهُ مخاريق وَأَنْوَاعٌ مِنَ السِّحْرِ وَلَهُ كُتُبٌ مَنْسُوبَةٌ إلَيْهِ فِي السِّحْرِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلا خِلافَ بَيْنَ الأُمَّةِ أَنَّ مَنْ قَالَ بِحُلُولِ اللَّهِ فِي الْبَشَرِ وَاتِّحَادِهِ بِهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ يَكُونُ إلَهًا وَهَذَا مِنَ الآلِهَةِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُبَاحُ الدَّمِ، وَعَلَى هَذَا قُتِلَ الْحَلاجُ)(2)

-أبو يزيد البسطامي: أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي (188 - 261 هـ) وقد لُقب بـ«سلطان العارفين» من رؤس الصوفية، من أهل القرن الثالث الهجري، واسمه الفارسي «بايزيد» كما عرف كذلك باسم طيفور، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية،قال البسطامي بوحدة

---

1 طبقات الصوفية، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، ص183-186، دار الكتب العلمية، ط2003.

2 مجموع الفتاوى (480/2).

الوجود ونسبت إليه بعض الشطحات، كقول «لا إله إلا أنا فاعبدوني» وقوله «سبحاني ما أعظم شأني»(1)

- **أَبُو حَامِدْ مُحَمّد الغَزّالِي:** الطُّوسِيْ النَيْسَابُوْرِيْ الصُوْفِيْ الشَافْعِي الأشْعَرِيْ، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (450 هـ - 505 هـ / 1058م - 1111م)،كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ(2)

- **القشيري:** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (376 - 465 هـ) إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ولد القشيري بقرية تدعى «إستو» من قرى نيسابور في ربيع الأول من سنة 376 هـوقيل سنة 375، حضر حلقة الإمام الصوفي الشهير بأبي علي الدقاق (توفي 406 هـ) وكان لسان عصره في التصوف، لما انتهى منه حضر عند الإمام أبي بكر بن فورك (توفي 406 هـ) ليتعلم الأصول،فبرع في الفقه والأصول معا، وصار من أحسن تلاميذته ضبطا، وسلوكا، وبعد وفاة أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني (توفي 418 هـ)، وقعد يسمع جميع دروسه، وبعد أيام، قال له الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع، فأعاد عليه ما سمعه منه، فقال له: لست تحتاج إلى دروسي بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي، وتنظر في طريقتي وإن أشكل عليك شيء طالعتني به: ففعل ذلك وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك([3]).

ما مصادر التلقي عند الصوفية؟

يقولون: إن مصادر التلقي عندهم ثلاثة أشياء رئيسية: **الكشف، والذوق، والوجد،** نحن نقول: القرآن والسنة والإجماع وهم يقولون الكشف والذوق والوجد، وتحت كل قسم من هذه الأقسام درجات.

ولا شك أنهم بهذا قد خالفوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عندما اعتمدوا هذه الأشياء.

وإذا قلت لهم: نحن نتلقّى عن كتاب الله، قالوا: نحن نتلقّى عن الله مباشرة، إذا أنتم تتلقون عن القرآن، نحن مختصرين نحن أعلى سنداً منكم، شيخ الطريقة يتلقى عن الله مباشرة، إذا أنت تأخذ عن القرآن، نحن نأخذ مباشرة، ويقولون: علمكم ميت عن ميت، تقولون: فلان البخاري عن فلان عن إبراهيم النخعي عن عبد الله محمد بن سيرين عن إبراهيم عن ابن مسعود، كلهم ماتوا، نحن عن الحي الذي لا يموت مباشرة!، وليس فيها أسانيد هنا، ليس فيها خمسة وسبعة وأسانيد طويلة مباشرة،

---

1 البعلبكي، منير (1992)،معجم أعلام المورد (ط. الأولى). بيروت: دار العلم للملايين. ص. 106

2 معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج4، 216-219

3 بتصرف من طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، ج5، ص 153 ط الأولى، 1967م.

الجيلاني عن الله، البدوي عن الله مباشرة، الشابري عن الله مباشرة، الرافعي عن الله مباشرة، إسناد قصير، ونحن نقول: لا يُحتمل.

1-الكشف: عند الصوفية، يقولون: الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب، الكشف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب، فيرى في العالم العلوي في العالم السفلي، يرى عالم الملائكة، عالم الجن، يطلّع الشيخ على اللوح المحفوظ، ما هو الآن، انكشفت، فيرى اللوح المحفوظ، يرى العرش ماذا منقوش على قوائمه، مكتوب شيء، ما هو الآن حصل الكشف؛وهنا يقولك لك الصوفي نظر شيخنا نظرة ثم قال: إنه كشفت له الحجب؛كما قال يسري جبر عرض علي ذلك فخشيت أن أرى الناس بلا ملابس!!

2- الذوق: تذوّق الولي أو القطب، تذوّقه للحقيقة بما يتجلّى له، والذوق هذا الذي يكون عند الولي هو الذي يميز فيه وتظهر له به الأشياء، وعندهم الذوق مرتبط بمسألة التجلّي الإلهي، يعني أن الله يتجلّى لهذا الشخص ويكلمه كلاماً مثل ما كلّم موسى، كلام مباشر، ويقولون أن العلوم تتجلى للولي بأشياء حسية محصورة في أربعة أشياء: الماء واللبن والعسل والخمر، وهذه مصيبة، الآن ربما هذا الشيخ يشرب ويسكر، ويقول: أنا الآن في الذوق لا أحد يكلمني!

3-الوجد: ما يحصل إلا إذا انفعلت النفس، تنفعل بناء على سماع أشعار، أنغام، رقص عنيف، شيء يهز الجسم، ولذلك تجدهم يأتون بحركات وإيقاعات حتى يغيب عن الوعي، إذا غاب عن الوعي تبدأ المعلومات تأتي، تبدأ المعلومات، ونظراً لأن هذا الباب لا أول له ولا آخر، فليست هذه فقط من المصادر، هذه مصادر رئيسية.

4-الإلهام: من مصادر التلقي عند الصوفية: الإلهام، الله ألهم القطب الأعظم كذا، إلهام، وقع في نفسه كذا وكذا وكذا.

5-الفراسة: من مصادر التلقي عند الصوفية.

6-الهواتف:المقصود بالهواتف: هتف به هاتف وهو في بريّة، هتف به هاتف وهو في المقبرة، كذا كذا، إذن، هذا تشريع، الهاتف صوت مسموع لا تدري ما مصدره، هذا الهاتف، وقد يكون يقظة وقد يكون مناماً، ويقولون أن الهاتف قد يكون إما الله أو ملك من الملائكة أو جن صالح أو ولي من الأولياء أو الخضر، ونحن نقول: أو إبليس من الهواء ممكن!

7-الإسراءات والمعاريج: يعني الشيخ القطب الأعظم يصعد إسراء في المعراج في الليلة ويأتي بأخبار وعلوم وأحكام يأتي بها، ويعرج بروح الولي أو بروحه وجسده إلى العالم العلوي وتجول روح الولي في السموات وفي الملكوت وفي الأشياء الفوقية، وتفيض عليه العلوم، الله يفيض عليه العلوم ويبلغ المنتهى ويأتي بأشياء من الله.

8-الـرؤى والمنامـات: وهـذا بـاب لا أول لـه ولا آخـر؛ لأن أي واحـد أسـهل شـيء عليـه أن يقـول: رأى شـيخنا منامـاً ويـأتي فيـه بتشـريع، هـذا بالنسـبة للمصـدر الأول وهـو كمـا قلنـا الكشـف، كـل هـذا كشـف، أنـواع الكشـف واحـد من الثلاثة والكشف ثمان درجات.

9-الأحاديـث الضـعيفة: كالموضـوعة والمتروكـة والباطلـة؛ فتـراهم يبتـدعون العبادات والأوراد اعتمادًا عليها .

ما أبرز الأفكار والعقائد المنحرفة لدى الصوفية ؟

هناك بدع في العقائد وأخرى في العبادات والأذكار والأوراد وفي المناسبات وسنوالي تفنيدها والرد عليها تفصيلا في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى([1])

1-ابتداعهم مصطلحات تضمنت أباطيل!

أول درجة في سلم الانحراف استخدام المتصوفة المصطلحات الغامضة؛وبالاستقراء لبداية ظهور تلك المصطلحات وقد وقع المتصوفة منذ نهاية القرن الثالث الهجري بمشكله المصطلحات الغامضة المبهمة التي

---

1 أولا: البدع في العبادات والأذكار والأوراد وفي المناسبات والأعياد .

- البدع المتعلقة بالصلاة .
- البدع المتعلقة بالصيام .
- البدع المتعلقة بالزكاة .
- البدع المتعلقة بالصوم .
- البدع المتعلقة بالحج .
- البدع المتعلقة بالأذكار والأوراد .
- البدع المتعلقة بالمناسبات والأعياد .

ثانيًا: البدع المتعلقة بالعقائد؛ ومنها:

-ما يتعلق بتوحيد الألوهية .
-ما يتعلق بتوحيد الربوبية.
-ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات .
-ما يتعلق بالإيمان بالله تعالى .
-ما يتعلق بالإيمان الملائكة .
- ما يتعلق بالإيمان بالكتب .
- ما يتعلق بالإيمان بالرسل .
-ما يتعلق باليوم الآخر .
-ما يتعلق بالإيمان بالقدر .

من بدعهم استعمالهم المصطلحات البدعية التي تشتمل على معاني محرمة وشركية ومنها:

-مصطلح الفناء والبقاء والصحو والمحو والتجريد والتفريد وما يقصدون بها من معانٍ باطلة .
- مصطلح مقامات الأولياء وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
-مصطلح الشريعة والحقيقة وما يقصدون بهما من معانٍ باطلة .
-مصطلح الحقيقة المحمدية وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
-مصطلح وحدة الوجود وما يقصدون به من معانٍ باطلة .
-مصطلح وحدة الأديان وما اشتمل عليه من معانٍ باطلة .
-مصطلح الأقطاب والأبدال وما يقصدون بهما من معانٍ باطلة .
-شطحاتهم في كرامات الأولياء .
- شطحاتهم في الرقص والسماع .
- شطحاتهم في الخضوع المطلق من المريد لشيخه .

يستطيع كل متصوف تفسيرها حسب ما يشاء فالمبتدئ يفسرها تفسيراً بريئاً والمتعمق منهم يفسرها حسب غلوه وضلاله , وهذه المشكلة(المصطلحات) وعدم وضوحها هي من أسباب ضلال الأمم قبلنا فالكلمات التي تحتمل الصواب والخطأ هي من بعض أسباب وقوع النصارى في القول بألوهية المسيح عليه السلام, فعندما يقول سبحانه عن عيسى (وروح منه) فهذا لا يعني أنه جزء منه بل هذه إضافة تشريف , كما يقول تعالى:(ناقة الله) أو كما يوصف أحد الصحابة بأنه:(أسد الله) أو(سيف الله) أو قوله تعالى (سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) ولذلك حذر القرآن الكريم في إتباع المتشابه وأنه يجب رد المتشابه إلى المحكم , والمحكم: (قل هو الله أحد،الله الصمد، لم يلد ولم يولد ..)،قال الإمام أحمد : بكلمة (كن) كان عيسى عليه السلام وليس هو الكلمة نفسها، وقال تعالى في حق بني إسرائيل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) .

تكلم المتصوفة في مصطلحاتهم عن الفناء والبقاء والصحو والمحو، والتجريد والتفريد و وهي ألفاظ تحتمل الحق والباطل ، بل هي أقرب إلى الباطل ،وقد اعترف مؤلفوهم باستحداث مصطلحات خاصة بهم .

قال أبو بكر الكلاباذي:(إن للقوم عبارات تفردوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم) ([1])ومن أوائل من تكلم بهذه المصطلحات أبو حمزة الصوفي البغدادي (ت 296) والبسطاني وأبو سعيد الخراز (ت277) .

وهذه أمثلة لبعض مصطلحاتهم وتعريفهم لها ثم نتكلم عن الآثار المترتبة عليها :

-الفناء :

أ- هذه كلمة مبهمة مجملة قد تعني وجهاً باطلاً بل كفراً وهو ما يسمونه (الفناء عن وجود السوّي) أي ليس موجوداً إلا الله سبحانه وكل ما عداه ليس له وجود حقيقي،وهذه هي وحدة الوجود التي سنتكلم عليها في المبحث القادم إن شاء الله .

ب- وقد تعني هذه الكلمة (الفناء) أن يغيب عن الناس والخلق ولا يشهد سوى الله ويقع في (الغيبوبة) ويغيب حتى عن العبادة ،وقد يتوهم أنه صار هو والإله شيئاً واحداً (ويظن أنه تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته)([2])، وقد يسمونه : الجمع أو السُكر وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطاً في ذلك وأن الرب رب والعبد عبد .

---

1 التعرف لمذهب التصوف / 111 .

2 البقاعي : تنبيه الغبي / 81 .

ج- وقد تعني هذه الكلمة ما يسمونه (الفناء عن إرادة السوى) أي لا يحب إلا الله ولا يوالي إلا فيه ولا يبغض إلا فيه؛فهذا صحيح وإن كان لا يسلم لهم بالتعبير بـ (الفناء) لأن فيه كما قلنا غموض واشتباه، وأما الفناء الذي يسمونه فناء النفس عن التشاغل بما سوى الله فلا يسلم لهم أيضاً (بل أمرنا الله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها)([1]) .

د-

* **الجمع والفرق :**

قالوا عن الجمع أنه إشارة إلى حق بلا خلق والفرق إشارة إلى خلق بلا حق . ويقصدون أن الفرق هو ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية لله والجمع هو مشاهدة الربوبية والجمع قريب من الفناء بالمعنى الأول الذي هو وحدة الوجود .

* **السكر والصحو :**

قالوا عن السكر: حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ولا مراعاة الأدب([2])؛والصحو هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه([3]).

* **العشق :**

واستحدثوا هذه الكلمة وهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا العبد في محبته ربه .

هذه نماذج من مصطلحاتهم وهي كثيرة جداً و كلها رموز وألغاز فتكلموا عن الحال والمقام والعطش والدهش وجمع الجمع ... الخ ،وإذا أخذنا واحدة من هذه المصطلحات لنرى هل هي صحيحة من ناحية شرعية ؟ هل الفناء عن المخلوقات وعدم التشاغل بها من الإسلام ؟ والجواب بالنفي لأن الله يقول:(قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)، وقال عليه السلام (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب)، وكان يحب عائشة وأباها ويحب أولاد ابنته الحسن والحسين،ويجب العسل ،ويحب وطنه ،ويحب الأنصار ...)([4])،وأما محاولتهم للفناء في الله فهذا مستحيل؛ لن الله سبحانه هو الخالق وهم مخلوقون،فكيف يتحد المخلوق بالخالق ؟ وقد يحاولون التمويه فيقولون (بالصحو بعد المحو) (أو الفرق في الجمع) أي أن يرجع الإنسان إلى حال العبودية وقد يتكلمون هذا باللسان فقط أي أنه رجع إلى العبودية .

---

1 الذهبي : سير أعلام النبلاء 393/15.
2 الكلاباذي : العرف / 114 .
3 الجرجاني : التعريفات /132 .
4 الذهبي : سير إعلام النبلاء 394/15 .

والحقيقة أن كل هذا أوهام ؛والإسلام يحث على حفظ العقل , فكيف يسعى مسلم لزوال عقله؛ والصوفي عندما يتحدث عن أسرار الربوبية يحاول شيئاً لا يطيقه الإنسان , لذلك سيصل إلى كارثة (وحدة الوجود) التي هي كفر،ويفقد فيها الاتزان النفسي، وهي نزعة خفية عند الإنسان الذي لا يخضع للوحي وهي نزعة التكبر والتألـه ،ويحاول أن يأت بها عن طريق (وحدة الوجود) وهي نزعة فرعونية عندما قال (أنا ربكم الأعلى)؛ إن فكرة (الفناء) موجودة في الديانة البوذية وتسمى عندهم (نرفانا) وربما أخذها الصوفية عنهم .

النتائج المترتبة على مثل هذا الخلط :

1) إن الدخول في هذه المتاهات يبعد المسلم عن العلم النافع والعبادة والعمل فيتكلم في أشياء ليس لها وجود ولا تعني في عالم الواقع شيئًا ،والمسلم مأمور بإعمار الدنيا لتكون جسرًا إلى الآخرة وهذه المصطلحات تسيطر على الجاهل وتربك العاقل إذا لم يكن دينه قوياً .

ليس في الإسلام أسرار،فالقرآن واضح والسنة واضحة،وهذه الألغاز تجعل الدين وكأنه بحاجة إلى (هيئة) لحل هذه الأسرار،ويتحول الأمر إلى باطنية تفسر كل شيء حسب أهوائها فكل شيء نسبي ،وذاتي (ولذلك يمنعون من قراءة كتبهم لكل أحد)([1]).

2) إن الاسترسال في هذه المصطلحات سيؤدي حتماً إلى عقيدة (وحدة الوجود) وهذا انسلاخ من الدين فالمسلمون يرجعون إلى الكتاب والسنة،والصوفية يرجعون إلى الذوق والكشف والخيالات وكلام مشايخهم وهذا أمر مشكل لأن لكل إنسان ذوق فالنصراني يتذوق التثليث والمشرك يتذوق الشرك ... الخ .

كما تتميز هذه المرحلة عند الصوفية بما يسمونه (المقامات) كالتوكل والرضا .. وانحرفوا فيه أيضاً عن الفهم الإسلامي الصحيح ؛فالتوكل عندهم هو عد الأخذ بالأسباب ؛قال الهروي:(التوكل في طريق الخاصة عمىً عن التوحيد ورجوع إلى الأسباب)، ويقول أبو سعيد الخراز(كنت في البادية فنالني جوع شديد فطالبتني نفسي إن أسأل الله طعاماً , فقلت : ليس هذا من فعل المتوكلين)([2]).

فهذا الشيخ خالف السنة في الخروج إلى البادية دون زاد؛وفهم التوكل فهماً خاطئاً , والله سبحانه وتعالى خلق الأسباب وطلب من العباد الأخذ بها والمسلم لا يعتمد على الأسباب وحدها ولكن يفعلها ويتوكل على الله ويطلب النتائج من الله .

---

1 حقائق التصوف /527 .
2 الكلاباذي التعرف / 150 .

وقالوا عن مقام (الرضا): أنه الاسترسال مع القدر فيكون مستسلماً لما يأتي من عند الله , وهذا الكلام تنقصه الدقة , فالمسلم لا يعترض على قدر الله كالمرض والفقر ولكن يدفع قدر الله بقدر الله , فهو يدفع المرض بالدواء ويدفع الفقر بالعمل والكسب . أما إذا كان هناك أمر ديني مثل الصلاة والصوم فلا يقول : أنا لا أصلي لأن الله لم يقدر لي الصلاة فهذا من الحيل الشيطانية , ويشبه كلام المشركين فلأوامر الشرعية يجب أن تنفذ والمصائب تدفع بقدر الله ويصبر عليها .

والخلاصة أن هذه الألفاظ المستحدثة عند الصوفية هي كما وصفها ابن القيم (تسمع جعجعة ولا ترى طحناً)([1]).

2-انحرافهم في التفريق بين مصطلحي الشريعة والحقيقة!

فالشريعة – كما يرونها – هي مجموعة الأحكام العملية التكليفية أي ما يسمى (بالفقه الإسلامي)،والحقيقة هي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار.الفقهاء يعلمّون الناس أركان الصلاة وسننها والصوفية يهتمون بأعمال القلوب من المحبة والخشية .. هذا رأي المعتدلين منهم أما غلاتهم فقالوا : إن هذه الأحكام لعوام المسلمين نظراً لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية دون الالتزام برسوم وأشكال معينة فالصلاة خمس مرات بشكل وترتيب معين ... هو أشبه ما يكون بالمعلم الذي يلزم الطالب بواجبات مدرسية لما يعلم عنه من عدم الاستفادة من العلم إن لم يعمل بتلك الواجبات والمقصود هو العلم فإن كان من الخواص الذين يدركون المقصود الأساسي من الشرائع – وهو ما أطلقوا عليه الحقيقة – فقد حصل المقصود وإن لم يلتزم بها،فالصلاة هي دوام الصلة مع الله فإن استدامت فالحاجة للصلاة تصبح مجرد الوقوف مع الأوامر الشرعية احتراماً لها وإن كانت غير ذي فائدة ،بل إنها انحرفت بعد ذلك عند البعض إلى القول بإسقاط التكاليف لمن أدرك الحقيقة .

إن بداية الانحراف كانت في هذا الفصل بين الشريعة والحقيقة وعند أهل السنة الشريعة هي الحقيقة فالصلاة حركات معينة ولكنها تستلزم الخشية والإنابة وهكذا كل الأحكام الشرعية القيام بها يعني الإتيان بها على تمامها كما أرادها الله سبحانه وتعالى .

وقد جرهم ذلك إلى مصطلح آخر وهو الظاهر والباطن،فقد ادعى الصوفية أن للقرآن ظاهراً وباطناً ،فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي أو السياق أو غير ذلك من الأصول المرعية في التفسير وهو ما يهتم به علماء الظاهر أو ما يطلقونه عليهم (علماء الرسوم) زراية بهم أما الباطن فهو العلم الخفي وراء

---

1 مدارج السالكين 437/3 .

تلك الألفاظ وهو المراد الحقيقي بها وهذا لا يطلع عليه الخواص من أصحاب المقامات السامية ويطلقون عليه (الإشارات)وهم يغمزون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب .

... ويسأل أحدهم عن قيمة الزكاة فيجيب : أما على العوام فربع العشر وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ؟!! " وإذا وقع خلاف في مسألة بين علماء الشرع وبقيت غامضة ؛فالقول فيها ما يقوله علماء الباطن أهل التصوف)[1]، وفي تفسير قوله تعالى:(ولكن لا تفقهون تسبيحهم)[2]،قال الغزالي :(وهذا الفن مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في عمله)[3].

والحقيقة أن هذه التفرقة غير صحيحة بل هي باطلة وقبيحة ،وأي تجزئة للإسلام فهي من قبيل اتخاذ القرآن عضين،والإسلام كل متكامل كالجسم الواحد،فليس هناك ظاهر وباطن ولكن هناك فهم صحيح كما عقله الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هناك أعمال للجوارح وأعمال للقلوب والإيمان يزيد حتى يصبح كالجبال وينقص حتى يكون كالنبتة الصغيرة الضعيفة ،ولكن كل هذا اسمه شريعة أو إسلام أو دين وكل تقسيم يشعر بأن هناك تضاداً أو تغايراً كمن يفرق بين العقل والنقل وكأن النقل مضاد للعقل، أو بين العلم والدين وكأن العلم يخالف الدين ،كل هذا لا يكون إلا من ضعف وانحسار أمام أعداء هذا الدين،هذا إن أحسناً الظن بهم .

انتقد ابن الجوزي هذا التقسيم فقال:(هذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لصالح الخلق ،فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين،وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة)[4].

كما أن هذه التفرقة بين الظاهر والباطن أدت بهم في موضع التفسير إلى تأويل الآيات وتحريفها تخريفًا شنيعًا ،وهذا التأويل المذموم حاولت كل الفرق الضالة الباطنية أن تجد له نصيرًا من كتاب الله يتناسب وأهواءها،ولذلك ضبط علم التفسير عند أهل السنة بـ (أصول التفسير) حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى لا نهاية لها ،ففي تفسير آية :(فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي)[5]، قال صاحب منازل السائرين: (رأى هذه حالة العطش كأن إبراهيم عليه السلام لشدة عطشه إلى لقاء محبوبه لما رأى الكواكب قال: هذا ربي فإن العطشان إذا رأى السراب ذكر به الماء)؛ويعقب ابن القيم:(هذا ليس معنى الآية مطلقاً وإنما القوم

---

1 شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي 160/2 والكلام لأحمد الشريف السنوسي .
2 الإسراء / 44 .
3 زكي مبارك : التصوف 25/2.
4 تلبيس إبليس /337 .
5 الأنعام / 76.

مولعون بالإشارات)[1])،وآية (فاخلع نعليك)، فسرها الشيخ عبد المغني النابلسي – وهو من المتأخرين – (أي صورتك الظاهرة والباطنة يعني جسمك وروحك فلا تنظر إليها لأنها نعلاك) ([2])وفسر بعضهم هذه الآية: يعني اخلع دنياك وآخرتك إلى آخر هذا الهراء ويبدو أن البعض منهم كان يشعر بخطأ هذه التفرقة , فيحذر وينصح , قال سهل ابن عبدالله: (احفظوا السواد على البياض (يعني العلم) فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق)([3])،ولكن القوم استمروا في إشاراتهم البعيدة عن العلم فقالوا عن آية (وإن يأتوكم أسارى) أي غرقى في الذنوب ،(والجار ذي القربى) أي القلب (والجار الجنب) أي النفس حتى أنه يروى عن سهل بن عبد الله نفسه أنه فسر (ولا تقربا هذه الشجرة) بقوله:(لم يرد معنى الأكل في الحقيقة وإنما أراد أن لا تهتم بشيء غيري)؛ قال الشاطبي:(وهذا الذي ادعاه في الآية خلاف ما ذكره الناس)([4]).

3-الغلو في النبي ﷺ بما يعرفه عندهم بالحقيقة المحمدية!

من صور الغلو عند الصوفية ما يعرف عندهم بالحقيقة المحمدية؛وهو مزيج من الغلو في رسول الله ﷺ والتأثر بالفلسفة اليونانية في تقريرها لأول مخلوق , والتأثر بالنصرانية التي أضفت صفات الربوبية على المسيح عليه السلام .

والمشكلة أن هذه التي يسمونها (الحقيقة المحمدية) هي غموض كامل وعماء في عماء، ولأنها نشأت في الأصل من خيال مريض وأوهام ليس لها أي رصيد في الواقع، ولذلك نلاحظ أن أقوالهم في تعريفها أو الكلام عنها غامضة أيضاً ، فالرسول ﷺ أول موجود وأول مخلوق وهو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره([5])،وهو الذي منه انشقت الأسرار ولا شيء إلا وهو به منوط([6])، وهو عين الإيمان والسبب في وجود كل إنسان([7])،وكأن الصوفية لم يستسيغوا أن يقال: إن رسول الله ﷺ هو كما وصفه القرآن الكريم بشراً رسولاً وقد جعلوا أقطابهم تتصف بما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه؛فكيف برسول الله صلى

---

1 مدارج السالكين 61/3.
2 بدوي : شطحات الصوفية /195.
3 تلبيس إبليس / 325.
4 القاسمي : محاسن التأويل 73/1.
5 ظهر الإسلام 220/4 ومعنى القطب الذي تدور عليه الأفلاك أنه المتحكم في حركتها وسكناتها , وهو الذي يدير مادق وجل من أمورها وهذه هي حقيقة الألوهية وهي عن نظرية العقل الفعال المستمدة من الفلسفة اليونانية .
6 هذه هي الصوفية / 87 والكلام لابن مشيش.
7 زكي مبارك : التصوف 233/1.

الله عليه وسلم فابتدعوا ما أسموه (الحقيقة المحمدية) وعلى أساس هذه النظرية ندرك مغزى ما يقول البوصيري :

وكل آي أتى الرسل الكرامُ بها فإنما اتصلت من نوره بهم

وقوله:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقول ابن نباته المصري :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جبل

وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الغلو فقال ﷺ محذرًا: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ،إنما أنا عبد الله ورسوله)[1]،ولكن الذي فعله هؤلاء هو أكبر من الغلو؛ إنه الشرك والضلال،وإلا كيف تفسر قول الشيخ الدباغ (إن مجمع نوره لو وضع على العرش لذاب)[2] ،وقول أبي العباس المرسي:(جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا هو عين الرحمة)؛ قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[3]؛ فانظر إلى هذا الاستنتاج العجيب!!

إنها المضاهاة بعينها ، فإذا كان المسيح ابن الله عند النصارى فلماذا لا يخترع الصوفية(الحقيقة المحمدية) وهذا ناتج نظريتهم في وحدة الوجود[4].

ومن المؤسف أن المستشرق (نيكلسون) يتكلم في كتابه كلاماً صحيحاً عن شخصية الرسول ﷺ بينما غلاة الصوفية تاهوا في معمياتهم وسراديبهم؛يقول:(إذا بحثنا في شخصية محمد ﷺ في ضوء ما ورد في القرآن،وجدنا الفرق شاسعاً بينهما وبين الصورة التي صور بها الصوفية أوليائهم ،ذلك أن الولي الصوفي أو الإمام المعصوم عند الشيعة، قد وُصِفَا بجميع الصفات الإلهية؛بينما وصف الرسول في القرآن الكريم بأنه بشر)[5].

4-من خلالاتهم الناتجة عن وحدة الوجود ما يسمّى بوحدة الأديان!!

خرافة كبيرة من خرافات الصوفية ،وشطحة من شطحاتهم الكثيرة؛ وهي لا تخرج إلا من خيال مريض يظن أنه يتسامح إنسانياً ،ولكنها في نفس الوقت فكرة خطيرة لأنها تصادم سنن الله في الكون والحياة ومنها سنة الصراع بين الحق والباطل بين الخير والشر،والجمع بين الكل على قد المساواة هو خبث مركز لهدم الإسلام أو هذيان مقلد لا يدري ما يقول و إلا فكيف نسوي بين من يعبد الله سبحانه

1 أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية . انظر : مختصر الشمائل للشيخ الألباني / 174, وقال عنه : حديث صحيح .
2 هذه هي الصوفية / 87.
3 لطائف المنن /12 .
4 انظر : التصوف لزكي مبارك .
5 هذه هي الصوفية / 85 .

وتعالى وحده وبين من يعبد البقر أو حرف كتب الله وعبد أنبيائه؛ كيف نجمع بين الإيمان والكفر هذا لا يكون إلا ممن يؤمن بوحدة الوجود كابن عربي وتلامذته الذين يعتقدون أن كل موجود على الأرض صحيح ولا داعي للتفرقة،والله أوسع من أن يحصره عقيدة معينة فالكل مصيب (وأما عذاب أهل النار فهو مشتق من العذوبة)([1])؟!!

ويترجم ابن عربي هذه العقيدة شعراً فيقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طـــائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجـهتُ ركائبه فالحب ديني وإيــماني

وينسج على منواله صديقة ابن الفارض فيقول :

وما عقد الزنار حكماً سوى يدي وإن حل بالإقرار فهي حلت
وإن خرّ للأحجار في البد عاكف فلا وجه للإنكار بالعصبيــة

وإذا كان بعض المعتدلين يحذرون من كتب ابن عربي , مع أنهم لا يعتقدون بكفره ويبررون أقواله ويأولونها فإننا لم نسمع منهم أحداً يحذر من شعر جلال الدين الرومي مع أن المعجبين به كثر وخاصة بين مسلمي الهند وتركيا , وهذه إحدى قصائده يتشبه فيها بأستاذه ابن عربي :

انظر إلى العمامة أحكمها فوق رأسي ...
بل انظر إلى زنار زاردشت حول خصري ...
فلا تنأ عني لا تنأ عني ...
مسلم أنا ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي ...
توكلت عليك أيها الحق الأعلى ...
ليس لي سوى معبد واحد ...
مسجداً أو كنيسة أو بيت أصنام ...
ووجهك الكريم فيه غاية نعمني ...
فلا تنأ عني , لا تنأ عني([2]) .

فصلوات اليهود،وعقد زنار النصارى،وبد الوثنية في الهند ومساجد الله كلها عند هؤلاء ساح فساح يعبد فيها الله([3]).

ونحن وإن كنا لا نتهم كل الصوفية بهذه البدعة لأن القول بها ضلال وكفر وانحراف ولا يقول به إلا غلاتهم ،إلا أن أجواء الصوفية ربما تساعد على نشوء مثل هذه الأفكار أو قريباً منها، فالاستغراق في توحيد الربوبية وأن الله رب كل

---

1 هذه هي الصوفية / 95 .
2 مجلة العروة الوثقى عدد 61 لعام 1403 هـ برئاسة تحرير عبد الحكيم الطيبي .
3 هذه هي الصوفية .

شيء ومليكه ،وفي القضاء والقدر الكوني الذي يسري على المؤمن والكافر ،دون الإلتفات إلى جانب المر والنهي الشرعيين والمخاطب بهما المؤمنين والذي هو جانب توحيد الألوهية،والاستغراق في كلمات ذوقية مثل الحب الإلهي والعشق الإلهي ،كل هذا أدى إلى قول أبي يزيد البسطامي عندما اجتاز بمقبرة اليهود:(معذورون)،ومر بمقبرة المسلمين فقال:(مغرورون) ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى:(ما هؤلاء حتى تعذبهم حطام جرت عليهم القضايا ،اعف عنهم)([1])، وكأنه يريد أن يثبت رحمته للجنس البشري كله،وكأنه أرحم من الله سبحانه بعباده،ومن هذا القبيل ما روى الأمير شكيب أرسلان عن أحمد الشريف السنوسي([2]) أن عمه الأستاذ المهدي كان يقول له:(لا تحتقرن أحداً لا مسلماً ولا نصرانياً ولا يهودياً ولا كافراً لعله يكون في نفسه عند الله أفضل منك إذ أنت لا تدري تكون خاتمتك)([3]) . وهذا الكلام غير صحيح من الشيخ السنوسي لأننا عندما نحتقر الكافر نحتقره لكفره وعندما يسلم نحترمه لإسلامه ونحن لنا الظاهر،ولكن أثر التصوف واضح فيه وإن كنت لا أعتقد أنه ممن يقول بوحدة الأديان .

إن هذه العقيدة شبيهة بأفكار الماسونية التي تدعو إلى وحدة الإنسانية وترك الاختلاف بسبب الأديان فليترك كل واحد دينه وعقيدته وإنما تجمعنا الإنسانية، دعوة خبيثة ملمسها ناعم ولكنها تحمل السم الزعاف في أحشائها .

5-ضلالاتهم في مسألة كرامات الأولياء .

من أكثر الأشياء التي يدندن حولها الصوفية قديماً وحديثاً موضوع الأولياء والكرامات التي تحصل لهم , وقبل إن نتكلم عن مدى مطابقة ما يذهبون إليه للكتاب والسنة , قبل هذا لا بد تعريف الولي وكيف تطورت هذه اللفظة لتصبح مصطلحاً خاصاً علماً على فئة معينة ثم نتكلم عن الكرامات وما هو مقبول منها وما هو مردود .

جاء في كتاب (قَطْر الولي على حديث الولي)([4])؛ الولي في اللغة : القريب والولاية ضد العداوة،وأصل الولاية المحبة والتقريب، والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين ،وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون)([5])؛ أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من المعاصي ،قال ابن تيمية: (الولي سمي وليًّا من موالاته للطاعات أي متابعته لها ،وهذا المعنى

---

1 يدوي : تاريخ التصوف / 28 .
2 من زعماء الحركة السنوسية التي ظهرت في ليبيا في العصر الحاضر ولهم مواقف ضد الإستعار الإيطالي .
3 حاضر العالم الإسلامي 164/2.
4 هذا الجزء من المبحث عن الولي مختصر من هذا الكتاب للإمام الشوكاني مع مقدمة وتحقيق الدكتور إبراهيم هلال .
5 يونس /63.

الذي يدور بين الحب والقرب والنصرة هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي مشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه، سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أعداء الله،ومن ثم فليس لنا أن نخرج هذا المصطلح عن المعنى الذي حدده القرآن بلسان عربي مبين) يقول ابن حجر العسقلاني:(المراد بولي الله: العالم بالله تعالى المواظب على طاعته)، هكذا كان استعمالها وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية فأطلقوها على أئمتهم ومشايخهم مراعين فيه اعتبارات أخرى؛غير هذه الاعتبارات الإسلامية فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لي إنسان يقوم بنصرة دين الله من عباده المسلمين , وأول من صرف هذا المعنى إلى معنى خاص هم الشيعة فأطلقوها على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على اعتبار أنه هو وذريته (بشراً نورانين من طينة مكنونة تحت العرش) ثم أضاف لها الشيعة والصوفية (العلم اللدني لأن الشيعة يعتقدون أن علي ابن أبي طالب أخذ علماً خاصاً عن الرسول ﷺ .

والقشيري من الصوفية يرى:(بأن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء العصمة من المعاصي والمخالفات)، وهذه قلدوا فيها الشيعة الذين يعتقدون العصمة لأئمتهم ،وربما تلطف الصوفية فسموها (الحفظ) كما يقول الكلاباذي (ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه ....) وأكبر مقامات الولي عند الصوفية هو (الفناء) وهو باب الولاية ومقامها أما عند ابن عربي فهي مراتب ومنها مرتبة الولاية الخاصة وهو الورثة لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة **!!؟**
وهم عن ابن عربي أفضل من الأنبياء نظرًا لما هم عليه من ذوق أدركوا به علم الوجود ووقفوا على سر القدر .

هذا هو التحديد التعسفي لمفهوم الولاية عند الصوفية , أما شخصية الولي في القرآن الكريم فهي شخصية إيجابية يترسم خطى الدين في كل ما أمر أو نهي والصحابة ومن تبع أثرهم من العلماء العاملين هم أولي الناس بهذا اللفظ ويصدق عليهم حديث : (من عادى لي ولياً ....)،وطريق الوصول إلى الولاية عند الصوفية طريق معكوس لأن الغاية من مجاهداتهم هي معرف الله أو الفناء والمفروض أن معرفة الله سبحانه هي خطوة أولى للإيمان وهذه المعرفة فطرية كما يحدثنا القرآن،والعمل الصالح هو الذي يوصل إلى أن يحب الله عبدَه، وأما فناؤهم فهو يوصلهم إلى كفر الإتحاد والحلول فطريق الولاية عند أهل السنة سهل ميسر ومن أول هذا الطريق تبدأ المحبة بين الله سبحانه وعبده بينما طريق الصوفية طريق شكلي آلي لا بد أن يمر المريد بكذا وكذا ثم يصل إلى شطحات يظن فيها أنه شاهد الحق،وأفضل الأولياء عند أهل السنة الأنبياء والرسل بينما عند الصوفية النبي يقصر عن الفلاسفة المتألهين في البحث والحكمة كما يقول السهروردي

المقتول على يد صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - فالولي عند أهل السنة هو ذاك المسلم الإيجابي الذي يقوم بالطاعات , والولي عند الصوفية هو المستغرق في الفناء([1])

بعد هذا البيان والإيضاح لكلمة الولي وكيف تطورت ،والمعنى السني لها ،لا بد من توضيح المقصود بـ (الكرامات) وما هو رأي أهل السنة فيها وهل التزم الصوفي بهذا الرأي ؟ وهل هناك ارتباط بين الولاية والكرامة فنقول :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسيره على سنن محكمة مطردة لا تتعارض ولا تتخلف , وربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها وأودع في الأشياء خواصها فالنار للإحراق والماء للإرواء والطعام للجائع ثم هذا النظام الكوني البديع المتناسق الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الليل والنهار .. كل بنظام محكم فإذا لم ترتبط الأسباب بنتائجها وخرقت هذه العادة المألوفة بإذن الله لمصلحة دينية أو دعاء رجل صالح فهذا الخرق إذا كان لنبي فهو معجزة , وإذا كان لأناس صالحين فهو كرامة وهذه الكرامة إن حصلت لولي حقاً فهي الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ وتحصل ببركة إتباعه .

وهذه الخوارق إما أن تكون من جهة العلم بأن يسمع النبي ما لا يسمع غيره أو يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناماً أو يعلم مالا يعلم غيره حياً وإلهاماً و أو فراسة صادقة لعبد صالح , وإما أن تكون من باب القدرة والتأثير مثل دعوة مستجابة أو تكثير الطعام وعدم إحراق النار , وقد حصل للصحابة رضوان الله عليهم كرامات من هذا النوع وكانت إما لحاجة أو حجة في الدين , كما أكرم الله سبحانه أم أيمن عندما هاجرت وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش وكانت صائمة فلما كان وقت الفطر سمعت حساً على رأسها فإذا دلو معلق فشربت منه،وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبّر قسمه , وكان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة ،مشى أمير الجيوش الإسلامية في البحرين العلاء بن الحضرمي وجنوده فوق الماء لما أعترضهم البحر ولم يكن معهم سفن تحملهم وأُلقي أبو مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه([2]) .

هذه حوادث صحيحة وقعت للصحابة رضوان الله عليهم , وأكثر منها وقع في عصر ما بعد التابعين . فأهل السنة لا ينكرون الكرامات كما ينكرها المبتدعة وهو يعلمون أن الله الذي وضع الأسباب ومسبباتها قادر على خرق هذه السنن لعبد من عباده ،ولكن الصوفية جعلوا مجرد وقوعها دليلاً على فضل صاحبها حتى ولو وقعت من فاجر قالوا هذه كرامة لشيخ الطريقة ولذلك لا بد من ملاحظات وتحفظات حول هذا الموضوع .

---

1 انتهى ما نقلناه مختصراً وبتصرف عن كتاب (قطر الولي) .

2 ابن تيمية : الفتاوى 279/11 وفي هذا الجزء بحث قيم حول المعجزات والكرامات .

أولاً: هذه الخوارق كانت تقع للصحابة دون تكلف منهم أو تطلب لها أو رياضات روحية: يستجلبون بها هذه الخوارق،بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاء يرون فيه مصلحة دينية إما لحجة أو لحاجة للمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ أما المتأخرون فيطلبونها ويتكلفون لها الرياضات الروحية وربما أفسد جسمه ونفسيته بسبب هذا مع أن " طلب الكرامات ليس عليه دليل , بل الدليل خلاف ذلك فإنما غيب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لا يطالب به " [1] وهذا من التأثير بالفلاسفة حيث يقررون رياضات معينة للوصول إلى هذه الخوارق .

ثانياً : إن كرامات أولياء الله لا بد أن يكن سببها الإيمان والتقوى والولي لله هو المحافظ على الفرائض والسنن والنوافل , عالماً بأمر الله عاملاً بما يعلم فمن صفت عقيدته وصح عمله كان ولياً لله يستحق إكرام الله له إن شاء , فهذا إذا خرقت له العادة لا تضر ولا يغتر بذلك ولا تصيبه رعونه , وقد لا تحصل لمن هو أفضل منه فليست هي بحد ذاتها دليلاً على الأفضلية , فالصديق رضي الله عنه لم يحتج إليها , وحصلت لغيره من الصحابة , كما أنه ليس كل من خرقت له العادة يكون ولياً لله كما أنه ليس كل من حصل له نِعَمٌ دنيوية تعد كرامة له , بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش فهذه لا تعدوا أن تكون إما مساعدة من شياطين الجن ليضلوا الناس عن سبيل الله , أو استدراج من الله ومكر به أو رياضة مثل الرياضات التي يمارسها الهنود والبوذيون الكفرة ثم يضربون أنفسهم بآلات حادة ولا تؤثر فيهم أو يتركون الطعام أياماً عديدة إلى غير ذلك ويظن الفسقة أن هذه كرامة لهم .

ثالثاً : هناك سؤال مهم في هذا الصدد وهو لماذا كانت هذه الحوادث من خرق العادات قليلة في زمن الصحابة والتابعين ثم كثرت بعدئذ ؟

يجيب ابن تيمية :(أنها بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه فيها ما يقوي إيمانه ويكون من هو أكمل ولاية منه مستغنياً عن ذلك لعلو درجته([2]) ،كما أن عدم وجودها لا يضر المسلم ولا ينقص ذلك في مرتبته والصحابة مع علو مرتبتهم جاءتهم هذه الخوارق إكراماً لهم أو لحاجة في الدين وكثرتها في المتأخرين دليل على ما قاله ابن تيمية أو لتطلبهم إياها بالرياضة الروحية([3])

رابعاً : إن معجزة هذا الدين الكبرى هو القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب محمد ﷺ وعندما طلب منه ﷺ معجزات مادية رفض ذلك لأن هذا ليس هو منهج هذا

---

1 الشاطبي : الموافقات 283/2 .

2 هذا فيما ثبت صحة نقله من الكرامات إلا أننا لا نغفل أنه بعد هذا العصر بدأ أهل الأهواء والبدع في نشر مذاهبهم ولا نرى مانعاً من أن يكون هؤلاء قد استظهروا على صحة مذاهبهم باختلاف كرامات لا أساس لها من الصحة تناقلتها الألسن فكثرت فيها الكرامات فيما تلى ذلك من العصور .

3 الفتاوى : 323/11.

الدين وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطلب،قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ،أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً)([1])

كما أمر ﷺ أن يبرأ من دعوى الغنى والقدرة وعلم الغيب إلا ما علمه الله سبحانه وتعالى:(قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي)([2])

ولذلك كانت حياته وسيرته تجري كبقية عادات البشر ومألوفاتهم مع ما أعطي من شرف المنزلة([3])، وعندما هاجر ﷺ إلى المدينة لم يطر في الهواء ولم تطو له الأرض وإنما سار كما يسير أي راكب ويقطع المسافة في تسعة أيام لماذا ؟ لأن هذا هو الأصل، الأصل أن يسير الناس على السنن الكونية التي أودعها الله في الخلق ،ولكن كثرة الناس يؤذيها أن يكون الكون سائراً على قانون محكم ويسعدها أن يكون هذا القانون بيد المجاذيب والدراويش يتصرفون به)([4]) .

وتبقى الحقيقة أن الاستقامة على طريق الهدى ،طريق السنة والإتباع ،طريق الصحابة ومن تبعهم بإحسان،هذه الاستقامة هي عين الكرامة فإن حصل بعدئذ خرق العادة إكراماً من الله سبحانه وتعالى لمؤمن صادق فهذه يجب أن يخفيها ولا يذيعها ويشكر الله سبحانه على ما منّ به عليه .

5-ضلالاتهم في مسألة كرامات الأولياء:((الأقطاب والأوتاد))

بعد أن حرف كلمة ولي عن معناها الذي أراده القرآن الكريم اخترعوا ما يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال تسميات ما أنزل الله بها من سلطان , يرتبون بها أوليائهم ترتيباً فيه مضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم بدأ بالشماس وانتهاء بالبابا كما أنه فيه تشبه بالشيعة في ترتيب الأئمة وكذلك ترتيب النصيرية والإسماعيلية في أئمتهم كالسابق والتالي والناطق والأساس [5], وقد رتبوا أوليائهم حسب أهميتهم على الشكل التالي :

1- القطب .
2- الأوتاد الأربعة .
3- الأبدال وعددهم أربعون وهم بالشام ... ؟ !

---

1 الإسراء : 93/90 .
2 الأنعام / 50.
3 الشاطبي : الموافقات 248/2.
4 انظر : زكي نجيب محمود في كتابه : ثقافتنا / 72 .
5 انظر الفتاوى لابن تيمية 439/11.

4- النجباء وهم الذين يحملون عن الخلق أثقالهم .

5- النقباء .

وما هي حقيقة القطب عندهم؟ يجيب مؤسس الطريقة التيجانية:(إن حقيقة القطبانية هي الخلافة عن الحق مطلقاً , فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق (الله) إلا بحكم القطب)([1]) , ثم قسموا القطب إلى نوعين : نوع هو من البشر مخلوق موجود على هذه الأرض , يتخلف بدلاً عنه حال موته أقرب الأبدال له (التشبه بالنصارى) وقطب لا يقوم مقامه أحد وهو الروح المصطفوي وهو يسري في الكون سريان الروح في الجسد([2])، **أما الرفاعي** فقد تعدى هذه الأطوار فيقول أحد تلامذته:(نزه شيخك عن القطبية)([3]) وعند أبي العباس المرسى مقام القطبية فوقه مقام الصديقية([4])، وعند الشاذلي (يكشف له عن حقيقة الذات)([5])

وأما **الأوتاد**: فهم أربع رجال منازلهم على منازل الأركان الأربعة من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب([6]).

والأبدال: سبعة رجال من سافر من موضع ترك جسداً على صورته حياً بحياته([7]).

إن المسلم ليمتلكه العجب عندما يقرأ أو يسمع ما يقوله هؤلاء من أمثال الجرجاني وغيره الذين يدعون العلم والمعرفة , إن هذه أمور خطيرة تمس جوهر العقيدة الإسلامية , إن الاعتقاد بأن أحداً غير الله سبحانه يتصرف في هذه الكون هو شرك أكبر مع أن الله سبحانه وصف أكابر أوليائه بالصديقين كأبي بكر وسيدة مريم والدة المسيح عليه السلام فيأتي هؤلاء ليحادوا الله ورسوله ويقولوا : القطبية هي مرتبه فوق الصديقية وأما مصادمة كلامهم للعقل من البديهيات الأولية و لأن الخرافة لا يمكن أن يصدق بها عقل، أوتاد وأقطاب يتحكمون في العالم وهؤلاء سبعة وأولئك أربعة من أين جاءوا بهذا التحديد وهذا العدد ؟ ومن أين جاءوا بهذا القطب الذي جعلوه نائباً لله ؟ كأن الله سبحانه ملك من الملوك يحتاج إلى نواب

---

1 هذه هي الصوفية / 125 .
2 المصدر السابق /125 وانظر هامش كتاب تنبيه الغبي / 32 .
3 طبقات الشعراني 144/1.
4 لطائف المنن / 109.
5 نفس المصدر / 12.
6 الجرحاني : التعريفات / 39.
7 المصدر السابق / 23.

(سبحانك هذا بهتان عظيم وإفك مبين)([1]),وهذا الكلام وكلامهم عن الحقيقة المحمدية ووحدة الأديان لا نستطيع أن نصنفه بأنه هلوسة وتخبطات مصروع لا غير, لأننا نكون عندئذ غافلين عن حقيقة هذه المذاهب , وإنما هي غنوصية([2]) لهدم الإسلام .

6-من شطحاتهم التي تصادم العقول السليمة!

يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق)([3]),وسواء صحت هذه الرواية عن الشافعي أم لم تصح فإن الاتجاه العام لدى الصوفية هو الابتعاد عن العقل والعقلانية ،وذلك لأنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إلى الأحوال والمقامات العالية إلا بإلغاء العقل,ولذلك يذكرون حوادث لمشايخهم ويقررون أموراً يأباها العقل بل يكذبها ،ومع أن العقل شرط في معرفة العلوم وهو بمنزلة البصر في العين فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل بنورالشمس وإن إبعاد العقل وعزله تماماً هو رجوع إلى الأحوال الحيوانية([4])، ومن العلوم أن مناط التكليف في الإسلام هو العقل ولكن الصوفية كل شيء عندهم ممكن ،وكل شيء يصدق مهما كانت غرابته لأنه لا شيء يؤد على مشايخهم ،وإذا رددت فأنت محجوب لا تفهم في مثل هذه الأمور،ولذلك أصبحت قصصهم أضحوكة لأهل الأديان المنسوخة كما يقول الآلوسي([5])

ولأن الناس عجزوا بعد سقوط بغداد عن ربط الأسباب بالمسببات فربما كان التصوف هو الوحيد الذي نجا من تلك الكارثة فهرع الناس إلى المتصوفة يمنحونهم البركة فامتلأت البلاد بأرباب الطرق([6]).

---

1 جاء في (الفتاوى البزازية) :" من قال أن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر " انظر كتاب (غاية الأماني) لشكري الآلوسي 66/3 وما نقله عن الشيخ صنع الله الحنفي في موضوع الأولياء والأقطاب والأوتاد 66/2 من نفس الكتاب أيضاً .

2 الغنوصية : فرقة دينية فلسفية متعددة الصور مبدؤها أن المعرفة الحقة هو الكشف عن طريق الحدس الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف وليس عن طريق العلم والإستدلال , فهي نوع من التصوف يزعم أنه المثل الأعلى للمعرفة , ويعتقد أنه ليس هناك حواجز أو فروق بين الأديان , ومن هنا كان خطرها , وهي مأخوذة من اللفظ اليوناني (غنوسيس) يعني (معرفة) وقد نشأت في القرن الأول الميلادي بتأثير اختلاط الثقافة اليوناينة بثقافة الشرق ومن زعمائها (أفلوطين) فيلسوف القرن الثالث الميلادي , انظر إبراهيم هلال في مقدمة الولاية والطريق إليها /77.

3 تلبيس إبليس / 370

4 انظر ما كتبه ابن تيمية في الفتاوى 338/3 كما أ،ه كتب عشر مجلدات في بيان أنه لا تعارض بين الشريعة المنقولة والحقيقة المعقولة .

5 محاكمة الأحمدين / 490.

6 انظر أحمد أمين : ظهر الإسلام 219/4.

وحتى لا يظن أننا نظلم ونتهم فهذه صور من اللا معقول عند الصوفية منتزعة من كتاب (الطبقات الكبرى) للشعراني، هو يترجم لهؤلاء ولا يعلق بشيء لاعتقاده بصحتها , بل ينقل قصص المجاذيب ويترضى عنهم, وقد يقال بأنها مكذوبة عليهم ولكن الشعراني نقلها ولم ينكرها والذين يقرأون للشعراني من عصره وحتى هذا الوقت لا يقولون: نحن ننكر مثل هذه الأمور ويجب أن تحذف من كتبنا , فالمشكلة في هؤلاء الذين يبررونها ويصدقونها فعلاً وهذه النماذج مأخوذة من عصور مختلفة إلى عصر المؤلف في القرن العاشر الهجري .

1- ذكر في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي أنه:(إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى يكون بقعة ماء , ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئاً فشيئاً حتى يعود إلى جسمه المعتاد ويقول: لولا لطف الله ربي ما رجعت إليكم)([1]).

2- الشيخ أبو عمرو بن مرزوق القرشي:(كان الرجل العربي إذا اشتهى أن يتكلم بالأعجمية أو العجمي يريد أن يتكلم العربية يتفل الشيخ في فمه فيصير يعرف تلك اللغة كأنها لغته الأصلية)([2]) .

مساكين الطلبة الذين يدرسون اللغات الأجنبية في هذا العصر فلو أن الشيخ يعيش معهم لاستراحوا وأراحوا ...

3- قال تقي الدين السبكي:(حضرت سماعاً فيه الشيخ رسلان فكان يثب في الهواء ويدور دورات ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً , فلما استقر سند ظهره إلى شجرة تين قد يبست فأورقت واخضرت وأينعت وحملت التين في تلك السنة)([3])، والعجب هنا ليس من الشيخ رسلان ولكن من عالم مثل السبكي كيف يقبل بأن يذكر الله بالرقص في الهواء وكيف يقبل مثل هذا الهراء،هذا إذا صحت رواية الشعراني عن السبكي .

4- أبو العباس أحمد الملثم : يقول الشعراني عنه : (وكان الناس مختلفين في عمره ،فمنهم من يقول:هذا من قوم يونس ،ومنهم من يقول:إنه رأى الإمام الشافعي فسئل عن ذلك ؛فقال عمري الآن نحو أربعمائة سنة وكان أهل مصر لا يمنعون حريمهم منه في الرؤية والخلوة([4]) .

5- الشيخ إبراهيم الجعبري: كان له مريدة تسمع وعظه وهو بمصر وهي بأرض السودان من أقصى الصعيد([5]) .

---

1 الطبقات 143/1.
2 الطبقات 154/1.
3 الطبقات 152/1.
4 نفس المصدر 157/1 .
5 الطبقات 203/1.

6- حسين أبو علي:(من كمّل العارفين , كان كثير التطورات , تدخل عليه فتجده جندياً , ثم تدخل عليه فتجده سبعاً , ثم تدخل فتجده فيلاً (يا ألطاف الله)([1])،تخيل هذا الذي من كمّل العارفين يتحول إلى سبع وإلى فيل .... ؟!

7- إبراهيم بن عصيفي:(كان يغلب عليه الحال وكان يمشي أمام الجنازة ويقول زلابيه و هريسة وأحواله غريبة , وكان يحبني وأنا في بركته وتحت نظره)([2]). قد يكون هذا مجنون لا تكليف عليه , أما أن يقول الشعراني: سيدي إبراهيم , وكنت في بركته وتحت نظره , فهذا مما لا ينقضي من العجب , وما رأي صوفية اليوم هل ينكرون على الشعراني هذا الكلام ؟ لا أعتقد , بل يبدوا أن هؤلاء وأمثالهم هم أقرب إلى الظن بأن الحقيقة إنما ينطق بها البلهاء قبل أن ينطق بها العلماء .

ومن أثر الصوفية وكتب الشعراني وغيره أن أساتذة في جامعات مصر،أساتذة في الطب والفيزياء والكيمياء و تكون عقولهم سليمة عند البحث العلمي وتمسخ عند الحديث عن الولي الفلاني كيف طار في الهواء أو غاص في الماء([3])، لا شك أنها ازدواجية تحتاج إلى تحليل نفسي لمعرفة أسبابها ودوافعها ،وقد رأينا طلاب جامعات في بلاد الشام كيف يتبعون دجالاً مخرفاً ،ظاهر الكذب والاحتيال ؛إن هؤلاء المشايخ يقومون بعملية غسل دماغ للمريد بطريقة شيطانية خبيثة تجعل طلاب الجامعات بل وأساتذتهم يسيرون وراء الشيخ كالقطيع ،وتبقى أجواء الصوفية غير العقلانية هي العامل الأهم .

إن قمة إلغاء العقل عند الصوفية هو ما يسمونه (بالشطح) وهي أن يتكلم أحد مشاهيرهم بكلمات غير معقولة أو تتضمن كفراً وزندقة في الظاهر ويقولون: إنه قالها في حالة جذب وسكر أما في حالة الصحو فيتراجع عنها وقيل في تعريف (الشطح):(كلمة عليها رائحة الرعونة والدعوى تصدر عن أهل المعرفة باضطرار وإضراب)([4]).

وهذه نماذج من شطحاتهم : قال أبو يزيد البسطامي (إن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق , وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتي)([5])

والدسوقي: يعلن أن أبواب الجنة بيديه ومن زاره أسكنه جنة الفردوس([6])، وأبو الحسن الشاذلي يعوم في عشرة أبحر : خمسة من الآدميين : محمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي , وخمسة من الروحانيين : جبريل وميكائيل وإسرافيل

---

1 الطبقات 87/2.
2 نفس المصدر 140/2.
3 لاحظ هذا الانفصام الدكتور زكي نجيب محمود وطبعاً الدكتور هنا لا يدافع عن الإسلام الحقيقي وإنما يدافع عن العقل وتأثره بالمذهب الوضعي المنطقي العلماني الاتجاه .
4 بدوي : شطحات الصوفية 22/1.
5 انظر : تاريخ التصوف لعبد الرحمن بدوي .
6 هذه هي الصوفية / 121.

وعزرائيل والروح([1])، وأحمد بن سليمان الزاهد شفعه الله في جميع أهل عصره([2]) **شطحاتهم لا تنتهي ونكتفي بما أوردنا كنموذج للرعونة والدعوى** وأقوالهم هذه مرفوضة جملة وتفصيلاً ولا تستحق بذل الجهد لتبريرها فقاعدة الإسلام الركينة أننا نحكم بالظاهر كما دلت جملة الأحكام الشرعية, فلا مجال لمدع أن يقول بأن باطن أقوالهم مخالف لظاهرها , ويجب أن يصان الإسلام عن مثل هذا الشطح واللامعقول , بل الشرك لأن ممن يتصرف في الجنة والنار فقد اتخذ نفسه نداً لله وشركاً و قال ابن عقيل: (ومن قال هذا كائناً من كان فهو زنديق يجب قتله)([3])

وإذا كانت الجنة بيد الدسوقي فليتم البطالون وليستريحوا من عناء الجهد والتعب والأمر لا يحتاج إلى علم أو عبادة أو جهاد بل مجرد زيارة الشيخ تفتح له أبواب الجنة أليست هذه نسخة أخرى عن صكوك الغفران , وأما نحن فنستغفر الله حتى من إيراد أقوالهم .

7-من خلالاتهم تربيتهم لمريديهم على الخضوع المطلق لشيوخهم:

وضع الصوفية قواعد عامة لتربة مريديهم وكلها تحوم حول الخضوع التام من المريد للشيخ , بحيث يتحول التلميذ المسكين إلى آلة جوفاء تردد ما يقال لها بلا تفكير ولا شخصية مستقلة , بل انقياد أعمى , وحتى تتم هذه التربية الذليلة ألزموهم بلبس معين ومشية معينة وشيخ معين وطريقة معينة، ومن هذه القواعد المتعارفة بينهم :

- كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل!
- لا تعترض فتنطرد!
- من قال لشيخه لِمَ ؟ لا يفلح أبدًا !
- من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان!

ومشت الجماهير المغفلة وراء الشيوخ يقبلون الأيدي وينحنون لهم بالتعظيم كلما رأوهم ،لا يتكلمون إلا إذا تكلم الشيخ ،يصدقون بكل ما يقول، ويحملون له حذاءه وسجادته ،وقد فلسفوا كل هذا في كتبهم تحت عنوان (آداب المريد) فقالوا :(ومن الأدب تعظيمه ظاهراً وباطناً ،ولا تصاحب له عدواً ولا تعادي له صديقاً ،ولا تكتم عنه شيئاً مما خطر ببالك (مثل اعترافات النصارى)،ولا تسافر ولا تتزوج إلا

---

1 لطائف المنن / 57.
2 طبقات الشعراني 82/2.
3 تلبيس إبليس / 343.

بإذنه ،وأعظم من هذا قالوا: وحرم على المريدين السؤال لأن الشيخ قد يكون جاهلاً فينفضح([1]).

وهذا الأسلوب في تربية الأتباع ليس مستحدثاً بل تلكم عنه القشيري في (رسالته) فقال:(من صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة , ثم إن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة منها)([2]).

وقد أدى هذا الأسلوب إلى الغلو في المشايخ , الغلو في الصالحين فالغزالي هو صاحب الصديقية العظمى برأي أبي العباس المرسي([3]), والشيخ نجم الدين يستحي أن يصلي باتجاه القبلة وخلف الشيخ أبو العباس المرسي (القطب) فأدار وجهه باتجاه القطب !! ولكن أبا العباس كان متواضعاً فقال له : أنا لا أرضي خلاف السنة ([4]) فقط خلاف السنة ترك القبلة ؟! وقد كان أحمد الشريف السنوسي – من المعاصرين – شديد الاعتقاد بعمه محمد المهدي الذي لا يرى فوق طبقته أحداً إلا سيد الكائنات محمد ﷺ)([5]).

وانتقلت عدوى هذه الطريقة في التربية إلى بعض الآباء فربوا أبناءهم على الطاعة العمياء وأجبروهم على عادات معينة فيخرج الطفل شخصية ضعيفة .

ولنا على هذه التربية الملاحظات التالية :

1- هذه الأساليب في تربية المريدين هي أساليب ماكرة إما لتغطية ما على الشيخ من جهل بالدين وقلة بضاعة في العلم , أو لممارسة أشد أنواع السيطرة على عقول وقلوب الناس وباسم احترام الشيخ . وقولهم (العلم في الصدور لا في السطور) إنما هو صرف للتلاميذ عن كتب الفقه والحديث لأنه إذا قرأ فربما يتفتح عقله – فينتبه لما عند الشيخ من دجل وخرافات .

2- لم يترب أصحاب رسول الله ﷺ هذه التربية الخانعة ولكنهم تربوا تربية القيادة والرجولة فكان أحدهم يسأل رسول الله ﷺ : أوَحيٌ هذا أم هو الرأي والمشورة؟ فإن كان الرأي والمشورة أدلى برأيه كما فعل سعد بن معاذ في غزوة الخندق عندما رأى رسول الله ﷺ مصالحة قبائل غطفان وكان ﷺ بقيادته الحكيمة يستمع لهم ويناقشهم وجوه الرأي ولا يقول لهم : كيف تعترضون علي وأنا سيد الخلق ورسول من رب العالمين ؟ ومع حبهم الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا لا يقومون له ولا يقبلون يديه كلما دخل وذلك لمعرفتهم أنه يكره المبالغة في تعظيم البشر وعقل الصحابة عن رسول الله ﷺ هذه التربية فكان أول ما

---

1 إن ما أورده أهل السنة من آداب المتعلم بين يدي العالم , واحترام العلماء وتوقيرهم , يختلف عن ذلة الخضوع النفسي عند مريدي الصوفية .

2 هذه هي الصوفية / 101.

3 لطائف المنن / 77.

4 لطائف المنن / 74.

5 شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي 160/2.

تكلم به أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة " وإن أسأت فقوموني " ويقول : " أي سماء تظلني وأي ارض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأي " والصوفية يقولون : الشيخ يسلم إليه طريقته , وأي طريقة مع الشرع ؟ ويكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقادة الجيوش وأمراء الأقاليم : " لا تضربوا أبشار الناس فتذلوهم " ذلك لأن الشعب الذليل لا خير فيه , كما ذكر القرآن الكريم قصة بني إسرائيل عندما كانوا أذلاء تحت حكم فرعون , فلما أراد موسى إخراجهم إلى العزة والكرامة قالوا له: " فاذهب أنت وربك فقاتلا , إنا ها هنا قاعدون)([1]).

وعقل التابعون هذه التربية فكانوا يكرهون " أن توطأ أعقابهم "([2]) وهو أن يمشي التلاميذ وراء الشيخ ,ويقولون : " إنها فتنة للتابع والمتبوع "([3]) , ولم يعتد الصحابة تقبيل يد رسول الله ﷺ وإذا وقع فيكون نادراً , وذهب بعض العلماء إلى كراهية تقبيل اليد مطلقاً كالإمام مالك , قال سليمان بن حرب : هي السجدة الصغرى([4])، وعن أنس بن مالك قال: " قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال: لا "([5]) .

3- أما لماذا تسير هذه الألوف من البلهاء وراء شيوخ الصوفية ربما يكون هروباً من الواقع , ولعلها تصادف متنفساً غير حقيقي لمشاكلهم وأرجح أنه ابتعاد عن التكليف الذي يفرضه الإسلام وخاصة في أوقات الشدة والعسرة , وبعض الناس يصدقون أغرب القصص لمجرد رغبتهم في أن تكون هذه القصص صحيحة والواقع أنها غير صحيحة([6])

---

1 سورة المائدة 24.
2 زهير بن حرب : كتاب العلم / 146 المنشور مع ثلاث رسائل بعنوان الإيمان – تحقيق الألباني .
3 زهير بن حرب : كتاب العلم / 138 .
4 المسائل السجدية 123/2 ط . 1344هـ .
5 سنن ابن ماجة 1220/2 كتاب الأدب .
6 انظر كتاب : كيف تفكر , تعريب منير البعلبكي – ط . دار العلم للملايين .

9-عدم عنايتهم بعلم الحديث[1] وعدم اهتمامهم الدليل صحةً

من أصعب الأمور على المتصوفة وخاصة المتأخرين منهم الاهتمام بالعلوم الشرعية عامَّةً وعلم الحديث والفقه خاصةً لأن هذه العلوم تكشف ما هم عليه من جهل وإذا دخلت في قلوب وعقول التلاميذ فلا يبقى حولهم أحد أما المتقدمون فكان لهم عناية بالعلوم الشرعية ولكن إما أن يكون أحدهم مفصوم الشخصية فتجده عالماً في الفقه وأصوله ولكن عندما يتكلم في التصوف ينقلب إلى شخصية أخرى كأبي حامد الغزالي وإما أن يترك العلم بعد أن يكون قد أخذ بقسط وافر منه , باعتبار أن العلم وسيلة للعمل فإذا وصل إلى العمل فلا داعي للعلم وهذه مغالطة لأن المسلم يحتاج للعلم حتى آخر لحظة من حياته وقد رمى أحمد بن أبي الحواري كتبه في البحر وقال: نِعمَ الدليل كنتِ .

---

1 رأي العلماء في كتب الصُّوفية:
كتاب (إحياء علوم الدِّين) لأبي حَامد الغزالي :
قال ابن تيمية : " الإحياء فيه فوائد كثيرة , لكن فيه مواد مذمومة فإنه : (فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد , وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا : أمرضه الشفاء , يعنون (كتاب الشفاء) لابن سينا في الفلسفة , وفي الإحياء أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة : كثيرة , وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم , وفيه مع ذلك من كلام المشايخة الصوفية المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة , وأما ما فيه من الكلام في (المهلكات) مثل الكلام على الكبِر والعجب والحسد فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في (الرعاية) , ومنه ما هو مقبول وما هو مردود (الفتاوى : 10/ 551) ،وقال ابن الجوزي : " وإني لأتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة , كيف يحل القيام على الرأس طول الليل , وكيف يحل إضاعة المال , وكيف يحل السؤال لمن يقدر على الكسب فما أرخص ما باع أبو حامد الفقه بالتصوف وسبحان من أخرجه من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء " (تلبيس إبليس / 353)،وقال أبو بكر الطرطوشي : " شحن أبو حامد كتاب الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ , وما على بسيط الأرض أكثر كذباً منه شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفا (عبد اللطيف آل الشيخ : الرسائل 137/3)،وقال الذهبي : " فيه من الأحاديث الباطلة جملة , وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طريق الحكماء ومخرف الصوفية "(التفسير والمفسرون 140/3)
كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي :
قال الشاطبي : " لأبي طالب آراء خالف فيها العلماء , حتى أنه ربما خالف الإجماع في بعض المواضع , لكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير والتحريض على طلب الآخرة , فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتاب طالعوه متحرزين , وأما العوام فلا يحل لهم مطالعته " (الإفادات والإنشادات / 44).
قال ابن كثير: " كان رجلاً صالحاً له كتاب (قوت القلوب) ذكر فيه أحاديث لا أصل لها , بدّعه الناس وهجروه " (البداية والنهاية 319/11) .
تفسير أبو عبد الرحمن السَّلمي: قال ابن تيمية : " يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينتفع به في الدين , ويجد فيه من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له , وبعض الناس توقف في روايته "(الفتاوى 578/1)،قال الذهبي : " له كتاب يقال له (حقائق التفسير) وليته لم يصنفه , فإنه تحريف وقرمطة , ودونك الكتاب فسترى العجب " (محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون 386/2)، قال الواحدي : " فإن كان اعتقد أن ذلك التفسير فقد كفر " (المصدر السابق 386/2).

وأبو حامد الغزالي يبرر هذا البعد عن علوم الشريعة وهذا الميل من المتصوفة إلى علم الكشف فيقول:(اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية , ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات والإقبال على الله ويقطع الإنسان همه من المال والولد والعلم ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة القرآن ولا يكتب الحديث) .

يقول ابن الجوزي معلقاً على كلام الغزالي: " عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفي قبحه،فإنه في الحقيقة طي لبساط الشريعة "([1]) ومن الأوهام التي وقعوا فيها قولهم : نحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت وأهل الحديث يأخذون علمهم ميتاً عن ميت وأنشد أحد شيوخه :([2])

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وبسبب إعراضهم عن الحديث جمعوا الغث والسمين والموضوع والضعيف في كتبهم مثل (الإحياء) و (الرسالة) و (حقائق التفسير) وهذه بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة الباطلة وكيف استندوا إليها وقرروا بها مذهبهم :

1- قال بعض العارفين : أول المعرفة حيرة وآخرها حيرة وذكروا حديثاً باطلاً : " زدني فيك تحيراً " قال ابن تيمية : هذا حديث كذب والرسول ﷺ يقول : " ربي زدني علماً "([3]).

2- ذكر محمد بن طاهر المقدسي في مسألة (السماع) حديث الأعرابي الذي أنشد النبي ﷺ هذه الأبيات :

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي وأنه ﷺ توجد عندما سمع ذلك حتى سقطت البردة عن منكبيه , قال ابن تيمية : " هذا حديث مكذوب موضوع)([4])، ولا ندري كيف يروون هذا وأين عقولهم ؟ ولعلّ الحيات لسعت عقولهم وليس قلوبهم

3- رووا حديثاً (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه) وهو من كلام أهل الشرك والبهتان وقد سمعنا بعض مشايخ الصوفية في هذا العصر يحدث به ويعتقده .

4- (ألبسوا الصوف ،وشمروا ،وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا ملكوت السماء)، ذكرها أبو طالب المكي في (قوت القلوب)([5])،وهل يتكلم الرسول ﷺ بمثل هذا الكلام ،وهل هذا إلا اختراع لتأييد مذهب التصوف بلبس الصوف .

---

1 تلبيس إبليس / 323.

2 هو أبو بكر الشبلي قال عنه الذهبي : كان يحصل له جفاف دماغ فيقول أشياء يعتذر عنه فيها وله مجاهدات عجيبة انحرف فيها مزاجه , انظر سير أعلام النبلاء 368/15.

3 الفتاوى 384/11 .

4 الفتاوى 563/11.

5 زكي مبارك : التصوف 44/1.

هذه نماذج قليلة وغيض من فيض مما امتلأت به كتبهم كالرسالة للقشيري حيث ذكر فيها الصحيح والضعيف والموضوع وحيث يروي عن الفضل بن عيس الرقاشي وهي من أوهى الأحاديث وأسقطها([1]) وارجع إلى (الإحياء) لترى العجب العجاب مما يدلنا على عدم احتفائهم بعلم الحديث أو الفقه ،بل ضربهم بالعلم كافة عرض الحائط .

10-من انحرافاتهم : البطالة والانحلال!

كان أوائل الصوفية أصحاب مجاهدات وعبادات , صادقين مع أنفسهم وإن كانت بعض أعمالهم فيها تعمق وتشدد ومخالفة للسنة ما سبق أن قررنا ،ثم ظهر بعد ذلك أجيال بنوا التكايا والزوايا وهي دكاكين للبطالة والطبل ،مستريحين من كدّ المعاش ،متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص،يطلبون الدنيا من كل ظالم ،وأين جوع (بشر) وورع (السري) وأين جد (الجنيد)([2])،مع أن بناء الربطة والتكايا ولو لتعبد والإنفراد هو بدعة في حد ذاته لأن بناء أهل الإسلام المساجد ،وبناء التكايا فيه تشبه بالنصارى لإنفراده بالأديرة ،وقد قيل لبعض الصوفية أتبيع جبتك ؟ قال : إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصطاد وقد استغرب الإمام محمد بن الحسن الشيباني من أكلهم الطعام عند الناس لا يسألون عن حلال أو حرام([3]) .

ونسوا أو تناسوا أن الإسلام يأبى الركون إلى الكسل والبطالة ،وأن الزهد هو ترك ما في أيدي الناس والاستغناء عنه تنزهاً وليس الحصول على ما في أيدي الناس تنطعاً وقد نهى رسول الله ﷺ عن السؤال وأمر بالاكتساب والعمل فقال: " لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلاً فيعطيه ؟ أو يمنعه)([4])،وقال صلى الله عليه وسلم(اليد العليا خير من اليد السفلى)([5]) .

وكان سعيد بن المسيب يتجر بالزيت وكان أبو حنيفة يتجر بالقماش ... هكذا كان كبار العلماء والزهاد يعملون بأيديهم ويتحرون الكسب الحلال .

وكان الأوائل يمتنعون عن الزواج تشدداً وتعمقاً ثم تطور الأمر بالمتأخرين من الصوفية إلى مؤاخاة النساء وإعطاء الطريقة للمريد , وحفلات الذكر المختلطة , مما يشعر بدنوهم من مذهب الإباحية عند الباطنية لأن نظرية وحدة الوجود – التي استفحلت عند متأخري الصوفية – تشجع على الإباحية " لأن الثواب والعقاب

---

1 الفتاوى لأبن تيمية : 680/10.
2 انظر ما كتبه ابن الجوزي وأطال في أباطيل الصوفية في كتابه : تلبيس إبليس .
3 الكسب / 44.
4 النسائي 93/3 باب الزكاة .
5 نفس المصدر 60/3.

يصبح من المشكلات فمن الذي يثيبنا حين نحسن ؟ ومن الذي يعاقبنا حين نسيء ؟ إذا كان الإنسان جزأ من الله إنها خطر على عالم الأخلاق بل تأتي على قواعده من الأساس،ولذلك عاش بعض الصوفية عيشة التفكك والانحلال([1])،وقد كان لابن الفارض وهو من شيوخ وحدة الوجود ؛كان له مغنيات بالقرب من قرية (البهنسا) يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشابة وهو يرقص ويتواجد([2]) .

لم يرض عن هذا التطور بعض الصوفية المعتدلون كالشيخ أبي سعيد الأعرابي الذي يقول في كتابه (طبقات النساك):(إن آخر من تكلم في هذا العلم الجنيد وأنه ما بقي بعد إلا من يستحي من ذكره)([3])، كما حكى عن سهل التستري قوله:(بعد سنة ثلاثمائة لا يحل أن يتكلم بعلمنا هذا لأنه يحدث قوم يتصنعون للخلق([4])،ولكن الصوفية استمرت في تدهورها وأصبحت اكتساباً وتملقاً , ولبسوا جلود الضأن وحملوا قلوب الذئاب .

11-من انحرافاتهم في السماع والذكر!

في البداية , وعند أوائل الصوفية كانوا يحضرون مجلس (السماع) وهو الاجتماع في مكان معين لسماع منشد صاحب صوت حسن مع استعمال الإيقاع الموسيقي , ينشد قصائد الزهد وترقيق القلوب , ثم تطوروا إلى إنشاد قصائد الغزل وذكر (ليلى) و (سعدى) ويقولون نحن نقصد بذلك رسول الله ﷺ هذه القصائد التي تهيج الحب المطلق , الحب غير المعين , فكلٌ يأخذه حسب هواه وما يعتلج في قلبه من حب الأوطان أو حب النساء ...

وقد أباح لهم هذا السماع أبو حامد الغزالي وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم واحتجوا بأشياء واهية ضعيفة وليس هذا موضوع مناقشة حكم الإسلام في الغناء فقد رد عليهم العلماء مثل ابن الجوزي وأجاد ابن القيم في مناقضة هذا الموضوع في كتابه (إغاثة اللهفان) , وتبقى الحقيقة أن الأمة المسلمة أمة جادة ولا يحلل هذا الغناء إلا من لا يفقه الإسلام حق الفقه .

ولم يقتصر الأمر على هذه القصائد بل تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء وعندما تقام الحضرة ([5]) تبدأ التراتيل بذكر اسم الله المفرد (الله) بصوت واحد , ولكن عندما يشتد الرقص ويلعب الشيطان برؤوسهم يرفعون عقيرتهم أكثر ويتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع بعدها إلا همهمة وقد يجتمع مع هذا الصراخ والقفز في الهواء أخلاط الناس من النساء والأولاد لرؤية هذا (التراث

---

1 زكي مبارك : التصوف 155/1 وانظر ابن حزم : الملل والنحل 226/4 .
2 الآلوسي : جلاء العينين /75 .
3 آدم متز : الحضارة الإسلامية 39/2 .
4 المصدر السابق 39/2.
5 مصطلح عند الصوفية يعني الاجتماع على ذكر الله بالرقص على شكل حلقة يكون الشيخ في وسطها وكأنه قائد أوركسترا .

الشعبي)؛حقاً إنها مهزلة اتبعوا فيها سنن الذين من قبلنا فقد جاء في مزامير العهد القديم عن اليهود " ليبتهج بنو صهيون بملكهم , ليسبحوا اسمه برقص وبدف وعود سبحوه برباب سبحوه بصنوج الهتاف)([1]) .

جاء في (ترتيب المدارك) للقاضي عياض :(قال التنيسي : كنا عند مالك بن أنس وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد , ثم يقومون فيرقصون. فقال مالك : أصبيان هم ؟ فقال : لا . قال : أمجانين هم ؟ قال : لا هم مشايخ وعقلاء . قال : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا "([2]).

وقد يكون من أسباب فعلتهم هذه هو أن النفس ترى أن تغطي شهواتها باسم الدين والذكر والحضرة ،ولو كشفت بصراحة عن نوازعها لكان الخطب أهون ،لأنها عندئذ تبقى في دائرة المعصية وهي أقل خطراً من البدعة ، والله سبحانه وتعالى وصف الذاكرين له باطمئنان قلوبهم وخشوعهم وإخباتهم ،وقد كان السلف إذا سمعوا القرآن خافوا وبكوا واقشعرت جلودهم ،وهذا عكس الرقص والطرب ،ولم يأمر الله سبحانه حين أمر الناس بالعبادة – أن يأكلوا أكل البهائم ثم يقوموا للرقص بل هذا الرقص الذي يسمونه (ذكرًا) وما يرافقه من منكرات مستقبح ديناً وعقلاً هو وصمة عار أن يكون في المسلمين من يفعل هذا،وصدق قول الشاعر فيهم :

ألا قل قول عبد نصـــــوح ... وحــق النـصـيحـة أن تستمع
متى علم النـــاس في ديننـا ... بـأن الـغـنـا سـنـة تـتـبـــــع
وأن يأكل المرء أكل الحمار ... ويـرقص في الجـمـع حتى يقـع
وقالوا : سكرنـا بحب الإله ... ومـــا أسكر الـــقوم إلا القــصـع
ويسكـــره النـــاي ثم الغنـا ... و (يسن) لو تليت ما انصدع [3]

12- توسلهم بالمقبورين والغائبين :

13-تبركهم بآثار الصالحين أحياءً وأمواتًا وغائبين:

14-طلب الإذن من شيوخهم في الذكر ونحوه من العبادات .

15-دعاؤهم الأموات والغائبين .

16-ذبحهم للأولياء والصالحين .

17- تقديمهم النذور للأولياء والصالحين .

..... وغيرها من ضلالاتهم ،والتي سنوردها بعد ذلك ونرد عليها إن شاء الله تعالى.

---

1 هذه هي الصوفية / 143 .

2 ترتيب المدارك 5/4 ط . المغرب وقد حاو ل صاحب الكتاب (حقائق عن التصوف) محاولة سمجة للاستشهاد بالإمام مالك والإمام الشافعي على أنهما يمدحان الصوفية وهؤلاء الأئمة أعقل وأكبر من هذا .

3 ابن القيم : إغاثة اللهفان

بين عُبَّاد السلَف وأدعياء التصوُّف !

كان مشايخ أهل التصوف الأولون على حال طيبة في الجملة ، وكان لهم من الحرص على السنة واتباع السلف ، ومن العمل الصالح ، ما يحمدون عليه ، خلافا للمتأخرين من الصوفية الذين حرفوا وبدلوا وأحدثوا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وَهَؤُلَاءِ الْمَشَايِخُ لَمْ يَخْرُجُوا فِي الْأُصُولِ الْكِبَارِ عَنْ أُصُولِ " أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ " بَلْ كَانَ لَهُمْ مِنْ التَّرْغِيبِ فِي أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالدُّعَاءِ إلَيْهَا وَالْحِرْصِ عَلَى نَشْرِهَا وَمُنَابَذَةِ مَنْ خَالَفَهَا مَعَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ مَا رَفَعَ اللَّهُ بِهِ أَقْدَارَهُمْ وَأَعْلَى مَنَارَهُمْ، وَغَالِبُ مَا يَقُولُونَهُ فِي أُصُولِهَا الْكِبَارِ جَيِّدٌ مَعَ أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِهِمْ وَكَلَامِ نُظَرَائِهِمْ مِنْ الْمَسَائِلِ الْمَرْجُوحَةِ وَالدَّلَائِلِ الضَّعِيفَةِ؛ كَأَحَادِيثَ لَا تَثْبُتُ وَمَقَايِيسُ لَا تَطَّرِدُ مَعَ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "([1])،وقال عليّ بن هارون ومحمد بن أحمد بن يعقوب : سمعنا الْجُنَيْد غير مرة يقول: (علمنا مضبوطٌ بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقّه، لا يُقْتَدى به)([2])،وقال حامد بْن إِبْرَاهِيم : قَالَ الجنيد بْن مُحَمَّد : " الطريق إِلَى الله عز وجل مسدودة عَلَى خلق الله تعالى إلا عَلَى المقتفين آثار رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين لسنته ، كَمَا قَالَ الله عز وجل: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)([3])

وقال الْحُسَيْن النوري لبعض أصحابه : (من رأيته يدعي مَعَ الله عز وجل حالة تخرجه عَنْ حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه عَلَى دينه)،وعن الجريري قَالَ : " أمرنا هَذَا كله مجموع عَلَى فضل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم عَلَى ظاهرك قائما)،وعن أبي جَعْفَر قَالَ : " من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فِي ديوان الرجال)([4])

فإذا نظرنا إلى مثل هذا الكلام عن أوائلهم ، وقارنا أفعال أتباعهم اليوم به : وجدنا هؤلاء الأتباع أبعد ما يكون عن ذلك ، فإنه لا يكاد يوجد حدث في الإسلام إلا والصوفية ومن شابههم من أصحاب الأهواء من ورائه ، وهل عرف الناس عبادة القبور والتوسل بالأموات ، وسؤالهم الحاجات من دون الله إلا من الصوفية ؟

---

1 تلبيس إبليس" (ص 151)
2 تاريخ الإسلام " (22/ 73) .
3 تلبيس إبليس" (ص 12) .
4 تلبيس إبليس" (ص 151) .

وهل سبق القوم أحد في إحداث الموالد والحضرات التي تقوم على الغناء والرقص والذكر المبتدع ؟

وهل كان يصد عن الجهاد في سبيل الله ، ويرى أن غزو الكافرين بلاد المسلمين عقوبة ربانية عادلة إلا أهل التصوف ؟

وهل عرف الناس العلم اللدني ، وحدثني قلبي عن ربي ، والتفريق بين الحقيقة والشريعة ، وعلم الباطن وعلم الظاهر إلا عن الصوفية ؟

وهل عرفت السياحات المبتدعة في البراري ، ومصاحبة الأحداث ، إلا عنهم ؟

وهل عرفت الدعاوى والشطح ، والكلام في دين الله بغير علم ، أو بالظن الكاذب والاستدلال بالأحاديث الموضوعة والمنكرة أكثر مما عرف عن أهل التصوف ؟

ومن نظر في تاريخ القوم لا يجد إلا ما قدمنا وآثاره وغيره من البدع المنكرة والضلالات المضلة ، ومتى عرف أهل التصوف بالفقه أو صناعة الحديث والجرح والتعديل وتفسير القرآن بالمأثور ؟ هل في المتصوفة من برع في علوم السنة إلا القليل الذي لا يكاد يذكر ؟

ومن تأمل في كتبهم ، واستقرأ حالهم ، ونظر في أخبارهم : وجد أقواما لا يعرفون عن الشريعة إلا رسمها ، يبغضون أهل السنة ، وينتمون إلى أهل البدعة ، ويعادون العلوم الشرعية ، ويدّعون العلوم اللدنية ، قد سول لهم الشيطان سوء أعمالهم ، وغرهم من أنفسهم ، فأمشاهم على الماء ، وطيرهم على الهواء ، وغرر بساداتهم حتى قالوا : رفع عنا التكليف ، وليس في وجاهتنا مقدم ولا شريف .

ومن عجب أنك تجد عامتهم قد انتسبوا إلى أهل البيت ظلما وزورا ، مع أن أكثرهم قد جاء من بلاد المغرب وإفريقية ، أو من بلاد العجم ، ثم لا نعلم أن أحدا من علماء السنة الذين حفظوا لنا السنة ودونوا دواوينها كالأئمة الأربعة وغيرهم قد انتسب إلى هذه الطرق الباطلة ، فضلا عن أن يكون رئيسا من رؤسائهم وقطبا من أقطابهم .

وقول المدَّعِي: أن الأئمة الأربعة والعلماء يثنون على الصوفية ، من أبطل قول وأسمجه ، وإذا كان أهل العلم يثنون عليهم ، فلم لم ينتسبوا إليهم ؟ وهم أشد الناس حبا للدين ، واعلم الناس بالله ورسوله .

والمعروف عن أئمة المذاهب ذمهم حال القوم ، والتحذير منه .

أما الإمام مالك رحمه الله :

فقال القاضي عياض رحمه الله :

" قال المسيبي: كنا عند مالك وأصحابُه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية ، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون .

فقال مالك : الصبيان هم ؟ قال : لا .

قال أمجانين ؟ قال : لا ، قوم مشايخ .
قال مالك : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا .
قال الرجل : يأكلون ثم يقومون فيرقصون نوائب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه ، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله .
فقال أصحاب مالك للرجل : لقد كنت يا هذا مشؤوماً على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم "([1])

أما الإمام الشافعي :

فقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : " لو أن رجلا تصوف أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق "([2]) ،وقال أيضا : " مَا لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله إليه أبدا "([3])
وقال أيضا : " صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ ، فَمَا انْتَفَعْتُ مِنْهُمْ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ : سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : الْوَقْتُ سَيْفٌ . فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ، وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ ، وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ "([4])

أما الإمام أحمد : فهو أبعد الناس عن طريق القوم ، لشدة بُغضه للإحداث في دين الله ، وعداوته الشديدة للبدعة وأهلها .
قال عَنْ سري السقطي - وهو من كبار شيوخ الصوفية ومقدميهم - : الشيخ المعروف بطيب المطعم ،ثم حكى لَهُ عنه أنه قَالَ : إن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء . فَقَالَ : " نفِّروا الناسَ عنه [أي : عن سري] " ([5])
مع أن السري السقطي رحمه الله كان معروفا بالزهد والصلاح .
وذكر أَبُو بَكْر الخلال فِي كتاب السنة عَن أحمد بْن حنبل أنه قَالَ : حذروا من الحارث - يعني المحاسبي - أشد التحذير ، الحارث أصل البلية يعني فِي حوادث كلام جهم ، ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إِلَى رأى جهم ، مَا زال مأوى أصحاب الكلام ، حارث بمنزلة الأسد المرابط : انظر أي يوم يثب على الناس "([6])
"([6])
فهذه آراء الأئمة الثلاثة في الصوفية وأشياخهم ، **أما الإمام أبو حنيفة رحمه الله** :فقد كان عصره قبل ظهور هذه البدعة التي أساءت إلى أهل الإسلام على مر العصور .

---

1 ترتيب المدارك" (2/ 53) .
2 رواه البيهقي في "مناقب الشافعي" (2/ 207) بإسناد صحيح
3 تلبيس إبليس"(ص: 327) .
4 مدارج السالكين" (3/ 124) .
5 تلبيس إبليس" (ص: 152) .
6 تلبيس إبليس" (ص: 151) .

ولو كانت طريقة القوم قائمة على الكتاب والسنة كما يدعون ، فما بالنا نراهم أكثر الناس إحداثا في الدين ، وأقل الناس علما ؟

ومن تراه من أهل العلم يمتدح بعض الصوفية فإنما يمتدح بعض أحوال الذين رآهم منهم ، لما هو عليه من الزهادة في الدنيا ، والبعد عن السلطان ، والانشغال بآفات النفس ومداواتها ، ولا شك أن بعضهم له من هذا الباب حظ ، ولكن كثيرا منهم إذا خبرته في غير ذلك من أمور الدين وجدته إما جاهلا ، وإما متعالما ، وإما مدعيا علما خاصا قد اصطفاه الله به واجتباه له .

وإذا قيل : إن قدامى الصوفية مرقوا من الدين بما كانوا عليه من مذاهب فاسدة كالحلول والاتحاد ، فما ظنك بمتأخريهم ؟ ولا يقال : إن المتأخرين أحسن حالا منهم ، فإنهم لا يأخذون الطريقة والأحوال إلا عن متقدميهم ، وإلا لزم القوم بأن أساس التصوف قائم على هذه المذاهب الباطلة والآراء الضالة ، بما كان عليه أوائلهم ، وكفى في هذا بيانا لحاله .

أما مقام تزكية النفس : فما أبعد التصوف وأهله عن هذا المقام ، فإن تزكية النفس يعني تطهيرها من الذنوب ، وتنقيتها من العيوب ، وترقيتها بالعلم النافع والعمل الصالح ، والقوم مشغولون بتقديس مشايخهم ، والمغالاة في حبهم ، والمشايخ مشغولون بإلزام أتباعهم بذلك ، والادعاء الباطل لأنفسهم أنهم أهل الولاية ، حتى يصل بهم الحال إلى القول بسقوط التكليف عنهم ، ومن قرأ في تاريخ القوم وجد مصداق ذلك وبرهانه من أقوالهم وأفعالهم .

فلا يغتر مغتر بما يدعيه هؤلاء ، ويقال لهم : (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) أن نتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله في كل قول نقوله نحن وأنتم وفي كل فعل نفعله نحن وأنتم ، فإن فعلتم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن زُغتم فنحن بُرءاء منكم وأنتم بُرءاء منا .

هل تغيرت الصوفية عما ذكرناه في الصفحات السابقة , هل تركوا وحدة الوجود أو الغلو في المشايخ والسير وراء الأقطاب والأوتاد , هل تركوا البدع التي وقعوا فيها والتي تخالف سنة رسول الله ﷺ , أم أنهم متمسكون بكل هذا التراث ؟ الواقع أنهم موجودون بكل الفئات التي ذكرناها وبكل العقائد الفاسدة والخرافات اللا معقول , وبكل طرقهم الكثيرة المنتشرة على رقعة العالم الإسلامي كالشاذلية والنقشبندية والرفاعية والقادرية والتجانية والبريلوية .. الخ من الطرق , والتفرق لا ينتهي عند حد معين .

وصوفية اليوم منهم العوام الجهلة الذين لا يعرفون إلا الأذكار الجماعية والتماس البركات من الشيخ , ومنهم الغلاة الذين يعتقدون بما يقوله ابن عربي وابن الفارض , ومنهم علماء الفقه ولكنهم ينتسبون إلى طريقة من الطرق المشهورة وكأن الانتساب لها ضربة لازب , أو كأنه يحس بنقص إذا لم يكن منتسباً إلى القوم

, فلا بد أن يكون الشافعي مذهباً والشاذلي طريقاً ... ونجد هذا الفقيه لا يمارس طقوسهم ولا يعتقد الكثير من عقائدهم ولكنه التقليد والخوف من الخروج عن المألوف .

كان أحد مشايخ الصوفية من بلاد الشام يجلس في المسجد الحرام في مكة المكرمة ووجهه إلى الكعبة ولكن تلامذته يجلسون صامتين ووجوههم إلى الشيخ لأن النظر إلى وجه الشيخ عبادة , ولم يكن يلقي عليهم درسًا .

وعندما يقوم من مجلسه يسرعون لخدمته فأحدهم يمسك له الحذاء وآخر يناوله العصا , ويمشون وراءه كأن على رؤوسهم الطير . أليست هذه هي التربية الذليلة التي تكلمنا عنها ؟

وصوفي آخر من بلاد الشام يوزع على تلامذته (ورد الشاذلية) وأوله بالحرف الواحد : " اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة " أليست هذه هي وحدة الوجود بعينها ؟

وعندما أراد الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً أن يكتب سيرة سيده أبي العباس المرسي ذهب إلى قبر (البدوي) يستأذنه في الكتابة فأذن له !([1])

ويُدعى الشيخ إلى الهند للمشاركة في احتفال إقامة قبة على قبر شيخ من شيوخ الصوفية هناك فيلبي الدعوة ،ألا يعلم شيخ الأزهر أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك ؟ ألا يعلم الصوفية أن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد ؟ فلماذا لا يمتثلون أمره إذا كانوا يحبونه كما يدعون ؟ ولكنه الهوى الذي يخرم العقل والدين معًا .

ولا يزال أصحاب الطريقة الرفاعية عندما يجتمعون (للحضرة) يضرب أحدهم نفسه بآلة حادة تسمى (الشيش) وإذا لم تؤثر فيه يقولون: هذه كرامة له،وإذا كان فاسقاً قالوا: هذه كرامة لشيخ الطريقة !!

وإذا ذهبت إلى شمالي بلاد الشام أو مصر أو المغرب ترى هذه البهلوانية على الطريقة الرفاعية ،وما يفعل في مصر من احتفالات مولد البدوي أو الحسين ،حيث حفلات الرقص الطبل والزمر،وحيث الاختلاط بالنساء وتضييع الفرائض شيء يخجل منه أهل الإسلام ويتبرأ منه دينه وشرعه والأزهر بجوارهم وما من منكر عليهم وتقام الصلاة في مسجد الحسين ولا يدخلون للصلاة لأنهم جاءوا للاحتفال (بسيدنا الحسين) وليس للصلاة .

وللطرق في مصر شيخ مشايخ ولهم مجلة تذكر في عددها (57) أن الطريقة الحامدية الشاذلية أقامت احتفالاً بذكرى سيدهم إبراهيم سلامة الراضي ،واعتذر شيخ المشايخ عن الحضور؛لأنه مشغول باحتفالات مولد (البدوي) والعدد القادم للمجلة يحتفل بعيد المولد النبوي ... وهكذا أيامهم كلها أعياد واحتفالات لا تنتهي ولكل طريقة احتفالاتها:

---

1 راجع تقدمة الكتاب المذكور لمؤلفه .

وكم في مصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء !!

وأما في إفريقيا فالبلاء أعظم والخطب أعم و فالطريقة التيجانية تسيطر على غرب القارة وخاصة في السنغال ،ويكفي للتدليل على قلة عقولهم وضلالهم قول مؤسس هذه الطريقة : (من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب)([1])، وقوله : " وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ورداً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر "([2])، أليست هذه دعوة إلى الانحلال وترك التكاليف (فالنظر إلى الشيخ يدخل الجنة بلا حساب) !!

وأما عن واقعنا المعاصر في مصر فإن كبار الصوفية وضعوا أتباعهم في حرج بالتصريح بما هو أشد مما ذكره الشعراني في طبقاته؛ وما تصريحات علي جمعة ويسري جبر وأسامة الأزهري والحبيب الجفري عنا ببعيد!!

ولو أنصفوا وقاسوا أنفسهم بمقياس الشريعة المعصومة لعلموا أنهم مبتدعون ولكنه التعصب والإعجاب بالنفس ،والقضية ليست في قول فلان من الناس: هذا هو طريقي أو ما أرضاه لنفسي ولكن القضية أنه ليس هناك إلا طريق واحد هو الحقطريق أهل السنة والجماعة، وليس بعده إلا الظلال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هذا ما تم جمعه وترتيبه بتوفيق الله وإعانته
في الخامس عشر من شهر الله المحرم 1445هـ،الموافق 2 من أغسطس 2023

جمعه ورتبه / محمود عبد العزيز حماد

1 علي الدخيل الله : التيجانية / 238 ط . دار طيبة – الرياض .
2 المصدر السابق / 222 .